

وما أمّر لغير الله به ، وإنما تحريم تعبدي محض ، والقصد قطع دابر الوثنية وبإت
 إليها جهلاً : فما ذبح مقرباً باسم صنم أو بأي اسم آخر غير اسم الله حرم كله ..
 والاصل في الذبح أن يكون باسم الله الذي سخر وأباح ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا
 مما ذَكَرَ اللهُ عليه إن كنتم بآياته مبشرين ﴾ (١) ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَدْعُونَ اسم
 الله عليه وإنه ليقضى ﴾ (٢) ..

ويرى فريق من الفقهاء أن ذكر الاسم الكريم مستحب وليس فرضاً ، فذكر الله
 مستحب في قلب كل مسلم وإن لم يمر على لسانه ، وإنما يوصف للذبح بأنه فسق
 إذا ذكر عليه غير اسم الله ، وقد اعتمد هؤلاء في فهمهم على سنن وارداة
 وما نصبه أخرى : هل ذابح أهل الكتاب باسم الصليب أو باسم الكنيسته
 تندرج في هذا التحريم ، وقد عا أمّل لغير الله به يرى ذلك جمهور الفقهاء .
 ومن رجال المذاهب من يعض العموم هنا بإباحة طعام أهل الكتاب التي قررت
 في آية أخرى ، وهو استدلال قد يقبل ، وإن كنت أعاف الأكل من ذبيحة على هذا
 النحو ولكن لا أعيب الأكلين ..

ومن أنواع البنية الحرة والمنقضة ، وهي التي شقت نفسها أو شقتها غيرها بأن
 لفت جهاها حول متعتها حتى طاحت .

والموقوفة ، وهي التي ظلت تحريم حتى هلكت سواء كان بها أو بآثبه بالعصا ..
 والثريدة ، وهي التي هوت من مكان عال ، أو داخل حفرة ، وفقدت جاتها ..
 واللعينة ، وهي التي باتت في صراع مع حيوان آخر ظل يطعها حتى أهلكها .
 وما أكل السج ، التي عدا عليها وحش مقترس فأعطىها ، فإذا أدرك اللوح بوجهه
 من هذه الحصة الأخيرة ، ولازأ بها حياة ، فذبحها حتى سال منها الدم ، جاز
 أكلها ، مادام قد نرى أن ذبحه هو الذي أجهز عليها ..

أما ما ذبح على الصبية فهو من قبل ما أمّل لغير الله به ، والشب شائع
 بقيمة الناس لعمى يتواضعون عليه ، كالانصب التذكاري للشهداء ، أو للجندي
 المجهول مثلاً ..

والذبح عند نصب قائم أو ضريح يزار نوع من الوثنية بإتة الإسلام ، وتقدم به للذبيحة ..

(١) الأعمد ١٦١ .

(٢) الأعمد ١٨٨ .

٩١. لم حرم الإسلام تعويذاً معينة وهل لذلك حكمته؟

بين الجهاد وبين تعويذ تحصل بحقوقه جل شأنه ، أو تتناول علاقة بمضهم
 بعض ، وقد تتناول علاقاتهم بالكون للسخر لهم ، والأحاد التي ظالمها المتألمهم ..
 وقد أمر المؤمنين برعاية هذه المقود والإحساس بحرميتها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 آذُوا بِالْقَوْلِ إِجْلًا لَكُمْ بَيْنَةَ الْأَافَامِ أَلَّا يَكُنَّ عَلَيْكُمْ ﴾ (١)

وما ينش عليهم أربعة أنواع على الإجمال ، ونشرة على التفصيل ذكرت في

قوله تعالى :
 ﴿ وَحُرِّتْ عَلَيْكُمْ السِّجَّةُ وَالْأَمُّ وَالْخَيْرُ وَمَا أَمَّلَ لغير الله به والمنقضة
 والموقوفة والخريدة واللعينة وما أكل السج إلا ما ذكتم وما ذبح على الصب ﴾ (٢)
 والتحريم مشروع هنا لفصل الناس ، والحفاظ على صحتهم ، ولا يقال : إن الناس
 تأكل الحشرات ولا يصيبها ضرر ظاهري ، أو أن الجسائر تشرب الخمر ولا يحدان
 والقدرات وبسائر اعتلالها ، أو تكون ومكاتها خفيفة ، إن هذا الكلام مردود ، إذ إن
 التحريم العلمي أثبت انحلال هذه السموم ، وإذا كان البيض يتنجس منها فلا سباب
 غير مطبقة .. ولواجب أن تتنزه الجسائر عن أكل هذه الحشرات ، فحرراً من بلاه
 للناهي وعقاب الأوبة ..

أول هذه الحشرات البنية ، وهي الحيوانات أو الطيور التي تورث حثف أنفها ،
 وغلب أن يكون ملاكها أرض باطن بها ، ولست الأسماك التي تورث بعد خورجها
 من الماء من صف البنية ، بل هي حكم حلال ..

ثم الدم ، أي السخ الذي يسيل من عروق للذبيحة ، لا يجوز تحميمه وطبخه .
 ونعم اختياره لغزارته واحتوائه على جراثيم وديدان خبيثة ، ونعم التحريم محظور
 في الأدب الأول كما هو واضح في تعليم العهد القديم ، وقد أباحه إيليا ، ولا
 تنبى للمأفاه مع أن شرائع العهد القديم ملزمة للعساري ..

(١) التوبة ٦ .

(٢) التوبة ١١٦ .

تروحه شركت الشئ من أن العثرة الذي تضعه في سبيلها تمنع الطيران من تثويت الرقة . ما أختارنا هو هنا كله ، وفي الحلال الكثير اليسر ما ينقذ عن هذه الجحافل . ولا يجوز تعليق الحيوان عند ذبيحة ، وأفضل طرق للتذكية ما يخفف على الحيوان خروج روحه ، وقد رأى فقهاءنا القدماء أن يكون المذبح يقطع بالمقدم والبرء ، والوديع - عوفان على صحنه لعق - أو أكثر ذلك ، لئتم بقية اللد من الدم الكائن فيه ، يغزل صاحب النار : بأن هذا لتحكم في الطب والشرع بغير بينة ، ولو كان الأمر كذلك لما أحل الصيد الذي يأتي به الجراح ميتاً .

ثم يقول : وإنني أعتقد أن الذي $\frac{1}{2}$ أو اطلع على طريقة التذكية أسهل على الحيوان ، ولا ضرر فيها كالتذكية بالكمثرى ، بنية (١) إذ صح هذا الوصف لنفعلها على الذبح ، لأن قاعدة شرعية أنه لا يحد على الشيء إلا ما فيه ضرر أو لقسم أو لغيرهم من الأحياء .

ولا أعرف الطريقة التي يمتن إليها الشيخ وشيخاً وقد عرفت أن مصانع الحرم القربة تقرب الجبهة قبل ذبحها فصرية بتدوير أعضائها ، ثم تقطع لحي ، وتبقى في عينة اللحم لا كليه ، وقد يكون الصدمة التي تلحق بأعضائها للجبهة ولا تلحق بجوانبها مشبهة للمخبر الذي يتألمه الرضخ قبل جراحة جرحها الأطباء ولا شيء في ذلك بداهة .

بيد أن أصدقاء من المؤمنين ولشرفين يفتنون الطير ، أو يجهزون على حياتها بوسائل معينة أسمى من الذبح ، وإن كانوا يعيرون الذبح وذلك بماثابه الشريعة الإسلامية .

ذلك ، وقد عطف القرآن الكريم على الطيبات المساحة مثل لحوم الصيد $\frac{1}{2}$ في نسألوكم ماذا أحل لهم قبل أجل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تمطرهم من عطفكم الله فكلموا بما أسكن عطفكم وأذكروا اسم الله عليه وتلقوا الله إن الله سريع الحساب (٢) .

والصيد كما يكون بالكلام الدرية والبراءة والصقور يكون بالأسلحة العادية في أيها الذين آمنوا ليبلوكم الله ببني بين الصيد قاله أنبيكم وما حكمم يعظم الله من بهائهم بالغبية (٣) .

وفي عصرنا هذا انحرفت الروماح ولسهام لتحل محلها الأسلحة النارية التي تقتل الصيد أو تصيده بجرارح مجهدة ، وعند إدراكه حيا ينبغي أن يذبح الذبيح الشرعي المبيد ، وبالأ فأن موته بأي أداة من أدوات الصيد السابقة يعتبر ذكاه .

(١) الشرح : ٨٤ .

(٢) الشرح : ٤ .

إن الله الذي خلق كل شيء هو الذي سخر لبي آدم بعض مخلوقاته منها $\frac{1}{2}$ وإن لكم في الأنعام عبرة فسيقوم منا في بغيرها ولكن فيها منافع خير ونبينا تأكلون (١) ، هو الله الذي جعل لكم الأنعام ليرزقوا منها ويقتلون تأكلون (٢) .

والشياطين أولى من ترك اللحوم كلها لا تقتلهم إلا ديان عليه ، ولا أعرف شريعة سامرية حظرت ذبح الحيوان .

ومما هو الله هو الذي أحل فتيقن التزام الأسلوب الذي قور في الارتفاع بهذه الدلائل ونقض ما عاده .

والجوارح التي أعضاها ما ذكرنا ذكرها في أربعة مواضع من القرآن الكريم على طريق القصص والتعريف ، ما يعيننا عند ما ورد من نهي عن أكل غيرهما من قبيل الكرامة ، وفي ذلك خلاف نقض معروف .

وقد أقال صاحب المنار في التماثل على تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخالب من الطير ، واقترب من منع ما لك رضى الله عنه ، ولا تقدم أنفسنا في هذا الميدان ، وإننا إن كنت النظر إلى أن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام قد بعث بتحليل الطيبات وتحريم الجبابرة ونحن نعلم بأن ما نص الشارح على تحريم فهو من الجبابرة . فما الرأى فيما لم يتناوله الكتاب بعض ؟

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : وما لا نص في الكتاب على حله أو حرمته نعمان : طيب حلال ، وبقيت حرام . ومن الميرة في التمييز بينهما فوق أصحاب الطباع الطبيعية ، أو يعمل كل الناس بحسب ذوقهم ؟ كل من ألوهيون محتمل . والرائق الحكمة التحريم لثلاث ، وهو أن يحرم على كل أحد أن يأكل ما يستحقه نفس وعلاف ، لأنه يفسد ولا يصلح لتغذيته . لذلك قال بعض الحكماء : ما أكلته وانتبهه فقد أكلته ، وما أكلته وانت لا تنتبهه فقد أكلته .

وبعض يرى أن الاستمتاع بعلم والتغذية وما وصل إليه الأشخاص في علوم الأحياء مطوية ، وبمثل ذلك تغير الحيت من الطير . . على أننا نقض . كل احتمال على إعمال النص ، بأن الإسلام حرم التغيير مثلا ليرساخه وحصل علمه لخصاير اللاما بآقا جاء لهم من يقول : إنه نهي تخاير معوية على مرع حسنة واتخذ صفات لإقائه لخصها من مصائد العمل ، لم تقل قوله ، ولم نستطيع إكراه . . إن ذلك يشبه ما

(١) غار : ٨٩ .

(٢) التوراة : ٢١ .

إن الله أبلغ لنا ذنبهم وقد علم ما يفعلوه . وقال القاضي ابن العربي المالكي في كتابه (الحكم القرآن) عند تفسير قوله تعالى : ﴿أجل لكم العقاب﴾ وطعن الذين أوزوا الكتاب على كرمهم (١) . قال : وصلت عن الصرائي يقل عن الحاجة لم يطعها هل يجوز أن تأكل معه منها ؟ قلت : نعم كرامتها ، فإنها طعام أحبارهم ورجالهم ، وإن لم تكن هذه الطريقة ذكاة عندنا .. ولكن الله أبلغ لنا طعامهم طلاقاً ..

أخلاف الفقهي قدم كما نرى ، والأساس الشرعي لكل لمعظم قائم ، من شأنه تبع هذا فأكمل ولا حرج ومن شأنه تبع هذا فامتنع ولا حرج .. ولا لئتمل بريد من عرض الأكلة التعبدية لا تأنيباً ولا تشيئاً ، فواء هذه القضية أمر آخر يصلح بالبرك الإسلامي العلم ، أو يتصل بجاهل المسلمين ويستقبلهم لأننا يستورد المسلمون هذه الدبايح من أنعام وطيرهم ؟ .. لأننا نعجزوا عن تسخيرها في بلادهم ؟ هل تربية الأبقار والحاج تحتاج إلى أخصائيين في علم الذبوة وعندما تصيب قدرات المسلمين بالشلل في مجال الذبوة الزراعية والحيوانية فهل ينتظر لهم تنوؤ أو نجاح في الجادين الأخرى ، يا ويحاً وجراً إن الحماس في علم الجدل مرض عفن إذا صحبه بؤس في عالم الإنتاج .. وقد رأيت الدين التقليدي يتسم بهذه الخاصة الرصينة ، تصور في علمهم أو في عرض وجهات النظر المختلفة ، ثم يراقق بالهم ، ويثابك لسوء الظن .. فإنما يطلب الإجابة صبراً اكتفاء الأمة بجزائها واستغنائها عن سواها بتخير الحماة ، وضلا الدين .. لست من مؤاة التماثل في الفروع الفقعية ، فإن أصول العقيدة والأخلاق ولتتفرع تهنئي وتستغرق وقتي . وما أنظر في الأمور الفرعية إلا بتقدير ما أجمع به الشمل واسع الفرق وأنصبي الترتيبين والميلين عن أماكن المصادر ..

إن حاجة المسلمين إلى الجمع لصنع الرضيع ، أو إلى الدواء لعلاج الحمل ، أو إلى اللحم ميتة أو حية شيء .. في نظري يهدد عقائدهم ذاتها ، ويجعلهم يعيشون علة على أهل الأرض ..

فهل توجه قوتنا على الكلام والاعتراض إلى عمل إيجابي أم تبقى مهمة بعض الشبهين لبعض في الدواء ؟ لأنه ذات في والكحول ورفض اللحم المستورد لأن ذكاه موضع ريبة ؟ ثم يبتني دورهم .. إنني أقدر لنية الحسنة لكل من شارك في هذا البحث . ولكن الطريق لا يهدد بعد لعمل جاد تتحرك به أمة كويلا .

وليس الصيد سبلاً لطلاب اللغو ومواء قتل الحيوان ، بل هو مصدر من مصادر التغذية التي كان الناس ، ولا يزالون في بعض البيئات يحتاجون إليها .. والصادف يذكر اسم الله عندما يرسل كلبه ، أو يطلق رصاصة ، وروى ابن جرير : وإذا أرسلت جوارحك فقل باسم الله ، وإن نسيت فلا حرج ، أي إن عدم الذكر لا يضر الصياد ..

وروى البخاري أن قوما قالوا : بأمر الله ، إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري ذكراً أم سم الله عليه لا ؟ قال : سموا عليه اسموا وكوا .. قال : وكانوا حديثي عهد بكفر ..

تابعت عن كتب الفقه الحلال الذي دار حول ذبايح أهل الكتاب وغيرهم من الأمم ، وكان الناس يطلبون رأيي في هذه الاكتراث : من شأن أكلها معها كانت طريقة ذبحها ، ومن شأن تركها ، واستغناء عنها يا حبذا .. ولعل على بعض الإخوة أن ألقى برأى في القضية .. فلم أربأ من نقل وجهات النظر فيها على ملأ من إنياته .. يقول الشيخ عبدالله بن زيد رئيس المحاكم الشرعية بدولة قطر : وكل ذبيحة من حيوان ، أو دجاج تجلب إلى الناس وهي محبوبة ، لا يعلم من ذبحها ولا كيف ذبحها ، فإنها تندرج في عموم الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنهم قالوا : بأمر الله إن قوما حديثي عهد بجاهلية يأتوننا باللحم ، لا ندري ذكراً أم سم الله عليه أم لا ؟ قال : سموا الله اسموا وكوا ..

وعد أبلغ الفرق ذبايح أهل الكتاب بدون قيد ولا شرط ، وما سكت القرآن عن تحريمه فهو حلال لقول رسول الله ﷺ : إن الله تعالى فرسه لبعض ملائحته وحده حدوداً أفلا تعصوه وأمره لاتباعه ولا تتبعوه واستكتموا عن إخباره ثم غيروا عن إخباره فلا تتبعوه أبداً .. قد يقال : إنما يتبين أن من أهل الكتاب من يبيع باسم الصليب ، أو من يخش الطير ، أو من يعزى بقتل على رأس الحيوان فيقتله ، وكيف ظلم شيئاً من ذلك ؟ ..

قلت للأسفل : هنا بحث قديم ، وقد احتلف الفقهاء فيه ، فمنهم من أخرج هذه الصور (الحكيمة تحت عنوان ما أمر لعشر الله به) أو تحت عنوان (الختنة) أو تحت عنوان (الموقوفة) .. واستثنائها من ذبايح أهل الكتاب المبحة .. ومن الفقهاء من جعلها من ذبايح أهل الكتاب المبحة بالبيع ، واستثنائها من الجوارح السابقة ، وقال : الله أعلم - إذ أبلغ أطمعهم - ما يقولون وما يفعلون .. من هؤلاء الفقهاء مالك رحمه الله فقد جاء في (المقدمة) أنه سئل عما ذبحوه للكنيسة أو غيرها ، فقال أكره ذلك ولا أحرمها ،

٩٢. هل توجد صعوبة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

لست بعيداً عن هذا الميدان ، بل أحسنت واحكاماً من الكلاسيك في حياته . لقد ظلت العلم على جهاتدين قوى صلاته ، ثم قمت بتأليف كتاب سيقونى سبياً بعيداً في إخراج الرزنام الأعلی ، لأنهم تألقوا شهيداً في سبيل الله ..

إنني لست بعيداً بصحة الإسلام في هذه الأيام ، وصافحت بحراة وحب رجالاً يقاؤون عن عقائد الإسلام في قلوبهم على شواطئ الهادي ، ورجالاً آخرين يحرمون موارث الإسلام على شواطئ الأطلسى .. وبين الشاكرين للتأليفين قامت مدارس تجاهد بالقلم وكتائب مجاهد بالسلح ، تند العزوين اللطافي والمعكرى عن أراضي فحاه ثم ساستها حيناً من الدهر ، فذموا ثمن توهم فلا فاحها ولستمأراً فاقصمنا ..

إن الصعوبة الإسلامية حقيقة قائمة ولكن الإعداد لاحتها وتبديدها حقيقة أبرز للعين وأرهب للنفس ..

والمستشرقون الأوربيون يعرفون طبيعة الإسلام ، ويوصلون تاريخه القديم والحديث بعيني ذنب جالغ وتدير قول المستشرق الأثاني ، وأول شمترو في كتابه الإسلام قوة الدد العالمية الذي صدر من نصف قرن تقريباً : «إن انتفاضة العالم الإسلامي صورت تليق لا ريباً وحاف يحير أافانها ، يبدعوا إلى التجميع والتسااند لوجهة العملاق الذي بدأ يصعد» ..

ويقول : «إن قوة القرآن في جمع شمل المسلمين لم يعصبها الزمان ولم تفلح الأحداث الكثيرة في زعزعة قنيتهم به .. وإن الروح الإسلامية مازالت تسيطر على تفكير العامة ومواقفهم .. وستظل كذلك مادامت الشعوب الإسلامية قد وصلت معيها بتعاليم الإسلام ، واعتقدت أنه الرابح الجامع بين أجناسها المختلفة» ..

إن هذا القول القديم الجديد يكشف ما وراه من إبعاد لتعريب الإسلام غيلة أو جهمة ، ويفرض علينا المزيد من الجهر والنفقة ..

وأخيراً أن الصعوبة الإسلامية المعاصرة تكمن في أخطار هائلة ، يشارك في صنعها مشركون ومستشرقون ورسامة وسكويون وأبناء وأعلاءيون ، وملاحدة وكثاكيون ، ومصلحون ومعلمون وأئسي غربة وأئسي جلدتنا ..

ولست أخاف أن أترك كلهم يوم يكون قافة الصعوبة الإسلامية من معدن إسلامي صاف يعيدون سيرة سلفنا الأول فيملكون بعقل متفتح وظهورهم ترون إلى الله وحده ..

لقد كانت الدعوة الإسلامية تعلن إسلامها منذ قرنين تقريباً ، بل لقد ركزت الميدان على النشئ اللل والنحل تنشر الحراة وعلى راية الباطل .. ثم بدت بتأثير صبح جديد وقيقت الفتاة الإسلامية من سبابها تنالغ ثيرة وقهد لغد أفضل .. وأريد أن أقدم المصلحين الجدد بعض ما أقدت من تحارب حتى يتجنبوا التكتسات ، وحتى لا يقفوا أرض الإسلام خضبة باردة للتعصدين من كل لون ..

إنني أشعر بالفرح حين أرى المجاهدين في قطر ما يمدون العمل من الصغر ، غير متفتحين بما حدث لإخوانهم في قطر مجاور ، بل حين تبدأ جماعة ما العمل غير متفتحة بما رغب لزميلها في القطر نفسه من بفتح سين .. أنهم يلدغون من حجر واحد موزين ، أو أكثر دون وهي ..

ماقول في مدبري بيتا العمل في شركة مضطربة دون أن يدري أسباب الاضطراب ومسالك اللذين من قبله ، وألهم فقلهم أو توكلهم ؟ ألا يستحق التأنيب ؟ ..

إن خصاله جميعه أصابت الدعوة الإسلامية من هذه القيادات الماطلة ..

ولا يقل في هذا المجال اعتذار بحسن النية ، ولا تنجوا الأم المسترسلة وراء هذه القيادات ، وإذا كان الجهل بعوازين البشر لا ينبغي من اللائمة ، فإن الجهل بسنن القدر أسوأ عقي ، ومن هنا أرىنا الحسب شديداً للمجهزين في أجداد قبل لهم دون مواربة لا سكاراً عن سر عزيتهم **لو قل هو من عند أنفسكم** (١) ..

ويوجد عاملون في الحقل الإسلامي يقنون أنفسهم فوق المسألة ، لعمل ذلك بركة الزور ، والمصادرة ..

والذي أراه أن القوم يعانون علائق نفسية ، وأنه لا يركة هناك بل فوضى ..

ولأرك هذا التعليق المأزج إلى أخطاء لها جذور في ماضينا الطويل ..

كان الأداة قديماً بالتزيمون السحج في مقالاتهم ، ومرت بالأدب العربي مصور احتبس فيه داخل هذه القيود النطقية ..

والترام لسحج يتم على حساب النشئ عالياً ، فمن تعد فكرًا عبيداً لا أداة متأسفاً سهلاً ولا مبدئة خصبة ثرة تخلف القضايا والبرصوات ، بل إن السجعة قد تخلف

(١) الأ مبرور : ١٢٤ .

المش، ومن الطرائف في هذا أن أحد الولاة قال للقاضي: أيها القاضي يتم، قد عزناك قديماً فقال الرجل العزول: والله ما عزكست ولكن عزكست القافية..
ولم يأخذ الأدب العربي طريقه صمناً إلا بعد ما تنطس من القافية أو السجع..
وما حدث في ميدان الأدب حدث مثله في ميدان الدين، فقد مورت بالسلمون عصور طوال أصبح فيها فقه الفروع عمود الدين وسنامه وثرته أمراً أو أصبح البحث في صور العبادات وأشكالها هو الشغل الشاغل للخاصة والعامة..
وتصور العلماء أن إيفان للرسم إشارة لكمال وسلم الارتقاء ووسيلة القبول عند الله..
وعلم الفقه جزء له مكانته في الثقافة الإسلامية لكن مكانته تحيء بعد علوم

المعقدة والأخلاق ..

وإتقان مذهب فقهي في الفروع العملية شيء حسن، ولكن هذا الاتفاق لا ينشئ قليلاً ولا كثيراً من مهاد الأخلاق والعقائد الذي لا بد منه أولاً وآخرها ..

ربما اختلف الفقهاء: أبقراً الفسلى وراء إمامه أم لا؟ بيد أنهم متفقون على أن الخشوع والاحسان، وأن من فقد هذا الخشوع فقدت صلاته فيمتها، سواء قرأ أم صمت ..

وبمع ذلك فقد استفحل الغلو في قيمة أعمال الصلاة استفعالاً مرقى شمل الأمة، فزاد الصلاة الواحدة تعدد لها أربع جماعات في الأضرع الشريف واحدة للأخفاف، وثانية للشاغبة، وثالثة للمالكية ورابعة للحنابلة، لأن صلاة مقلد لا تصلح وراء مقلد

آخر.. وكان ذلك الانقسام يقع في الحرم لكن نفسه حتى أفركت المسلمين رحمة الله فقصت هذه الجماعات كلها، وصلى الكل وراء إمام واحد ..

إن توسيع الساحة التي يعمل فيها فقه الفروع على حساب تصحيح الساحة التي تعمل فيها التربية الدينية، وتحويل فيها العقيدة إلى قوى روحية وملكات نفسية ..

وتصور رجلاً منع جنبها يعيش به فشتري بنفسه مياه غارية ومعدينة، وبالشصف الباقي لديه سكرًا وشايًا، ووجهه يابقي بعدئذ للخبر واللحم والبقول والقواكه .. إلخ .. إن هذا رجل سيقنله فقر يوم يوما ..

وقد لاحظت أن مصابينا شديد في الألفظة العقلية والخالقية بسبب هذا العوج .. وحسب كثير من الشذيين .. أن تنشيط ببعض المراسم العبادية الثانوية ينضل هذا التصور وهمايات ..

وكت أرجو أن تنقذ الجماعات الإسلامية من هذا الاعتلال .. فسامني أن نبضها غرق في الأذقان في البحوث الفقهية وما تشعب عنها من خلاف وما بنى عليها من أواميل كبار ..

إن حكم تحريم الذهب على النساء كما يرى البعض يساوى -وقد يروج- تحريم أفغانستان من الشيوعية! وضبط الفرجة المستحبة بين قلمي الفسلى بكاد يبلغ مجلس الأمن! وتحليل الوسيقي يشبه الكثير أو دونه الكثير ..

لقد ذكرني هذا الخلل الرديء، بما كتبت أقرأ في كتب التاريخ .. قال الرازي: دخل فلان على الخليفة، وتحدث معه بأغلظ القول .. قال: فقصمت على نيايى مخافة أن يصيبني دمه! ..

إنش عجت لهذه المخالفة، صمغ رجل شجاع، ويتم أولاده ليس هو المخذور .. الخنود أن تبش ملابس الرازي بدم القتل .. الآن الدم نجس! أم لأن ثمن غسله باهظاً؟ إن توارث هذا الفكر سقوط عقلى وخلقى معاً، وأهل هذا الفكر لا يصلحون لشيء في دنيا الناس ..

إنش مبال إلى إغلاق باب الاجتهاد في فقه العبادات، وإلقاء حق الاختيار، أو ما يسمى بالأجتهاد الانتقائى، بأخذ ما تدعو إليه الحاجة وتدع ما عداه، من الثروة الطائلة إنش كآت إيسا ..

والذى يندفع إلى ذلك أن وجوه الراي في كثير من القضايا تكاد تستوعب الصور العقلية .. أو الشيء وضده معاً، أخذ مثلاً إمامة المرأة في الصلاة، ورفضها فقهائاً مطلقاً وجيزها البعض مطلقاً، وروى الشافعى جوازها للنساء خاصة ..

ولس المرأة؟ ينفض الرضوء مطلقاً، ولا ينفضه بنت، وقال مالك: النفض وعلمه مقرون بطلب الثلة من اللامسا ..

وإمامة الفسق؟ ردعا بعض الفقهاء بإطلاق، وأجازها قوم بإطلاق، ونضل آخرون متسائلين: هل نفسه يتأول أم ينتجج؟ هل نفسه قطعي؟ أم ظني؟ ومع تغير الجواب يتغير الحكم ..

ليت شعري ما تصنع نحن بعد ذلك إلا الموازنة والتزجيج؟ وإذا انتهى أحد إلى رأى فقل له إزاء الآخرين به ومؤاخذتهم على تركه؟ لا ..

ومعاني الكلمات فهو لا يراها ، ولا يحسن تقديمها ؛ لكنه يبلغ ذلك مستقيلا بالدراسة والتجربة والمقالة ..

والأم القاطنة من التي تبرع في تقديم الشكل وتقصه لعملا دائما عما ارتبط به من مدان ، فهي في ميدان الأدب تحب السجع والبليغ أكثر عما تحب الفكرة وتستند المنطوق ، وهي في ميدان الدين تفضي بوحدة الأمة في سبل إحياء البسلة أو الجهر بها ..

وسنالك الآن كان أرفع كثيرا من هذا المستوى ، وبذلك خدم رسالته وبلغ دعوته .. هل من الصورة الإسلامية أن يعمل بعض التفوق الصناعي مبدئيا كان أو عسكريا لاستغلاله بحكم الصلاة في العمل ، وجواز دخول المساجد بها ؟ هنا المسالك إغناء على وفور ديني ، ولا يوصف أبدا بالخير ..

ثم - أيعني العمل الغربي السيارة وشترها نحن لنكتب عليها دعين الحمد فيها عبودا .. أو كناية الأعداء ..

إن أية نقطة إنسانية إما تهوى بهما وتختار على حدة العقل ، وسنائه القلب ، والإسلام إنما أنفض العرب وحقق بهم في الأرجح لأنه أنفض هذه المالكات الإنسانية وأطلقها تسمى ، والحموة الإسلامية المعاصرة ينبغي أن تترسم الخطأ الأولى لا أن تتبع خلوها ظمورا لدينهم وأنفسهم على سواء ..

هل نستقدم خبراء ليعلمونا ثقافة البيوت والمدن ؟ .. هل نستقدم خبراء ليعلمونا الهدوء والنعيم والسمر في الشوارع ورياضة وكياسة ؟ .. هل نستقدم خبراء ليعلمونا أن التبرؤ في أداء الشهادات واجراء الانتخابات ضرب من الوثنية ؟ .. هل نستقدم خبراء ليعلمونا كيف تدفع الكفاحات إلى الأمام وتورد القافونين إلى الوراء ؟ ..

إن هناك أجيالنا في القطرة الإسلامية لا تدرى لماذا تنسأها ؟ ولن تتم صورة إلا عندما تنتج بها أولا ..

قال لي صديق عالم في الجيولوجيا : أتني قلق الآن أمامنا محضرات السنين حتى تطوى سسائة الخلف الحضاري بيتنا وبين من سبقونا في حياتنا لليرة والغشاء والظافة وغيرها .. ودعم الحق مشيوس منه بالوسائل الدنيوية ..

قلت : أتني أؤمن بعون الله .. ثم استجبت أقول لننسى ولكل منهم بأمر دينه : إن العون الأعلى ينظر به الصالحون بين السكارى للتجديد في ترشيدهم صحوبنا المعاصرة حتى يوثق جناها ..

وقبل ذلك كله ومنه هل هذه الاحكام تسبق في الترتيب إحياء العقيدة ، ومقررات الاخلاق ، وروابط الشريعة ؟ لا ..

إن الذي يكره مسلما أنه لا يقع بينه تحت رقبته في الصلاة ، أو أنه يقتل في القبر مثلا ، رجل منحرف ضيق الخلق ..

وأنتقله الصلاة على النحو الذي يائق لا يجوز عنه هذه الفرصة فافظا القفوي مايجوز ، أما الخطا لظنني فهو أنهم ، وهذه الأخطاء الخلقية من وراء الفروق الرحمة التي تسلم منها العزوا الاستعماري وثناك بنا ..

أحسنت فخطبا شديدا وأنا أسمع مفتيا في إحدى الإذاعات يجيب عن سؤال وجه إليه : هل يجوز إخراج ركعة الفطر فتوقا ؟ قال المفتي : لا يجوز ، ومن أخرجهما فقدما وجب عليه أن يعيد إخراجها شيكرا أو قمحا ، واستسقى : إن هذا التصرف بدعة ، ومن أحدث في أمرنا فانا ما ليس منه فهو رد عليه ..

ورجل آخر من غيب المفتي أنه لو وجد أبا حنيفة أمامك يجتاعه وأخمد أنعاسه لأن هذا الإمام يرى إخراج الركعة ما هو أنفع للقراء فقدما كان أم حيويا .. وأغلب المسلمين يتبع هذا الرأي ، فلماذا نخرجهم ؟ .. ولماذا نرى فهمنا هو وحده للدين ؟ .. لم ضيق الاق .. ونظف ما لم الله به أن يوصل ؟ .. إن التوفيقين في إطلاق الاحكام القلبية المحدودة يستويون أكثر ما يستويون ..

وحملت في إحدى الكلمات أن أقبل المعيد على جمع من الطلاب كانوا جلوسا على بعض مقاعد الحقيقة ونقف لكل إلى استيقان استاندم وقولا ، إلا وادعنا ظل على كرسيه لم يتحرك ، وأصاحنا أن ما فعل هو السنة ..

قلت : إن الرسول ﷺ قال للأوس لا جاء زعيمهم سعد بن معاذ : قوموا إلى سيدكم وللطلاب الذين قاموا مرجحين بعينهم أرب إلى الفتوة والسنة والأدب من هذا الطالب ، وهو يسيء إلى الإسلام بهذا المسلك ..

قال لي أحدهم : إنه طالب محافظ يدرس لحيته ، قلت : تربية الحية من سنن العطرة ، وتربية النفس من أركان الإيمان ، وموافق عليه لو أحسن الشكل والورع ؟ .. إن الاحكام بالشكل أول مراحل التقليد ، فالطفل عندما يركب أباه وهو يصلي يفظل حركات جسمه ركوزا وسجودا ، وبينما محاكاة فيها .. أما مشاعر الخشوع

أنه هو الآخر يدل علما إبداعه ، ما يحيا العلم الأول إلا به ، والإنسان ليس بالجهاد حزين .

والواقع في الثقافة الإسلامية منذ نشأتها تشعبت أصولها وزروعها ، وتشعب العمل الذي يقوم به المسلمون فزاد رجاسات ، وليس في تاريخ هذه الثقافة علم ديني بعيد عن الحياة ، وطمع مدني بعيد عن الدين ، ولم يقع انقسام العلم إلى ديني ومدني إلا في صورتين القوط والاضمحلال ..

وبدیه في تكون علوم الشريعة أول مظاهر الحركة العلمية في الإسلام ، فنشأت علوم القرآن والسنة والفقه والأخلاق والشريعة ، ولا يبرأ أحد على إنكار ما في القرآن الكريم والسنة المظهر من خصومية فكرية ، ومناخ غزيرة لل فكر والوجدان والسلوك ، إيماء مهاد جليل عشيرة إنسانية ذكية رغبة ..

ثم صاحب ذلك ميلاد العلوم العربية من نحو ومعرف ومعارف وديان ودين ، وازدهر الأدب والبحث في فلسفة اللغة وأسرار البلاغة وألفت القواميس ، وأصبحت الدراسات الأدبية واللغوية جزءا أصيلا من عمل المعاهد للدينية ..

ونشطت الدراسة الفلسفية . التي تحولت في عصرنا إلى علوم إنسانية . فلم تبق في رضى الله التارة من معرفت إلا استقدمها العرب ، وتوفروا على فهمها وتوفي مسلوما ..

وبع فتح الفكر الإسلامي ظهرت علوم الكون والحياة مستهدية بتطبيقات الملاحظة والتجربة . وهو ينطلق قرآني البيت . فكانت علوم الرياضة من حساب وجبر ، وطول والطبيعة والكيمياء ، والفلكا ..

وكانت المتفنون من تفرعي انحصاراً يجمعون على أن المسلمين هم أول الفضل على النهضة الأوربية ، وأنهم السبب المباشر في عصر الإحياء ..

وقد كاد وراء الاتصارات العسكرية الإسلامية - إلى ما قبل بضعة قرون - تغرق على وصنامي ، هو الذي أمان على فتح والقسطانية ، وحصد فدينا ووقف الرضف العسلي .

وروي نقحون أن الحرب التي شنت بين العلم والدين في أوروبا ، قد أتمتها الكنيسة عن عمد بأنها رأت أن الاتجاه العلمي المبكر الناشط هو أثر لرفض الإسلامي الناصح ، وأن العلماء ليأخذين هم - طايور - خاس للجهاد الإسلامي القديم .

٩٢. ما مكانة العمل والعلم في الإسلام؟ وهل هما قاصران على الفعل العبادي والعلم الديني؟

الإسلام هو الرضى التنازل على محمد ﷺ ليوحه به الحياة إلى ريبا ، وبهذه الناس كله إلى الصراط المستقيم . أي إنه حقائق مقورة أولا ثم أساليب متجددة في البلاغ والمرض ، والحماية والامناع ..

لنفرض أن صاحب لفظة ما اقتنع بأن مالهه يتفح العلم . أنه ابتداء شرح ما عنده ويطبقه في ذات نفسه ، ثم ينتقل إلى تفهم الآخرين بكل وسائل الفهم ، ويحاط ضد المبتدئين والمؤمنين بكل أساليب المقاربة ..

وقد مضى الإسلام على هذا النهج منذ بدا مسيرته ، أو منذ استمع إليه إلى صوت الرضى : ﴿ فاقروا بأنهم ربك الذي خلق ﴾ خلق الإنسان من علق ﴿ اقرأ ﴾ وربك الأكرم ﴿ الذي علم بالقلم ﴾ علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ (١) .

إن العلم هنا من شقين ، علم بحقائق الرضى ، وطمع بطرق غريسه ، وذود الذي عبدا ..

في الفلسفات المادية المعتادة يسير العمالان معاً سيرا لا يتسم بأي تناقصا .. فالشخصية تسرى بين رجل الإعلام الذي يعرض مبادئها في الصحف المحلية والهيئات للدولة ، وبين رجل الفضاء الذي يستكشف الكون ، ويستخدم الأقمار الصناعية في الفكر والفن والفن في حرب الكواكب ..

كلا الرطين يؤذي واجبه نحو سبته ، وكلا العلمين يعمل الآخر ومواقفه .. إننا نقرب هذا النثل ليعلم المسبح من المسلمين أن تلى القرآن الكريم في الإذاعة يعرض نوعا من المعرفة الدينية ، وأن الذي يشرف على توجيه صابوخ في الفضاء كي يدافع عن هذه المعرفة لا يقل مكانة عن القارئ الليل ، وقد يكون - يصدق نيته - أولى بالله منه ! ..

وقد تأملت في سيرة نقر من خيرة الجامعات الإسلامية فكانت إليّ من جدواها ، فلما رجل يحمل حملة شعواء على الأخيرة ، قال لي أحد مستمعيه : لكن لا توجد في هذا البلد الأخيرة .. قلت : كلام سمعه لا يعرف غيره تأثرت به ..

وفي افتتاح مسجد بيارس ، وفي أثناء النقاط صور مذكرة للحفل قام واحد من هؤلاء في حالة تشنج ، يذكر أن التصوير التمسى حرام .

فقال له أحد الحضور: فلك رأيا وما أكثر الفقهاء الذين يخاصموك، إنك تتوقف سير الدعوة الإسلامية في باريس بهذا التعصب الضيق لراي ما، فهل تريد التضحية بالدين كله من أجل وجهة نظرك أو لأش قاصرين خلفك؟؟

قلت في نفسي: ما أعسى حظ الإسلام، إذا كان المتحدثون باسمه لا يعرفون العلم الاغلام أو الدين عنه... إلا بعض الروايات، وبعض الأفهام..

عندما مرض صغيري من الجبن على سليمان أن يأتيه بعرض يفتش من الجبن إلى فلسطين قبل أن يقوم من مقامه .. « قال الذي عنده علم من الكتاب: آتِ الْبَنِينَ قِيلَ يَا أَبَانِ إِنَّكَ لَأَعْرَفُ النَّاسَ رَأَوْا سُمْطًا فِيهِ كِتَابٌ فَبَدَّلُوا الْبَنِينَ حَتَّى بَلَغُوا مِنْهُنَّ أَكْثَرًا وَكَانَ أَبُوهُمَا غَافِلًا عَنْ ذَلِكَ فَلَمَّا تَلَوَّ الْبَنُونَ الْكِتَابَ وَنَادَوْا أُنَا أَبُوهُمَا صَاعِقُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهُمَا فَتُفَهِقُ رُجُلَهُمَا نِصْفَيْنِ وَتُجْعَلُ لَكُمَا سَكَنًا مَّعْرُوفًا » (١) أم أن هؤلاء الرجال خيما

ليس للمسلم ولا للعمل صورة واحدة صالحة ، أو ميدان واحد مقبول .. فإن الله أمر المسلمين أن يعبدوا الخير ^(١) وأنفقوا الخير فلأنكم تفعلون ^(٢) ، وكلهم مع فله أن يأنصروا الآخرين إليه ^(٣) ، فترتكن بينهم أمة تدعون إلى الخير ^(٤) ، فبذل الخير الطوبى لمن واحد ، لا يرى إلا في الصلاة والصيام ..

(۳) آل عسیران : ۱۰۴۰۰

$$W = \frac{1}{2} \rho \int_{-L}^L \dot{y}^2 dx$$

(١) النقل

يبدأ هنا كله تلاشي مع خمول المسلمين الأخير، والبطء جزوعهم، وانتشار الجهل العام في ربوعهم، وفهم كثير منهم أن العلم لا يستجاذ دراسة الرضوة والصلاة والولاية وأن ما وراء ذلك من أدب وفن، وكشف وتكافؤ مع من العصور. وقد دفعوا من تلك الغلظة سوداء صبيح المرحوم وأخرى القصور، وجعل بلادهم بين الأطلسي، والهادي مسرحاً لاستعمار أثنى ظلم، أكل دينهم وديارهم على سواه..

ومن الغرائب أن بعض الفسيحة الشغوفين بالدين لا يزلون صرعي هذا الغلاة الفاضل ، وأن التبيين منهم إلى كلمات عميقة أو مبدئية يعصفون عن الدراسات الكونية عليهم ويقولون : ندرس علوم الدين . .

و بحكمهم وهل يقوم الدين إلا بالعلوم التي فيها تزهدهم ؟
وكذا لا يقوم إلا بها ، فهو ما يحسن فهمه إلا في ضوئها .

من هؤلاء القليلة من أمضى عدة سنوات في كليات الهندسة أو التجارة أو غيرها، ودأب أن ينضم بالسنن إلى قضاها ويتلقى باحدى الجامعات الإسلامية... وأوقف هذه الفقرات في رساله كتبها لي أحدهم يقول فيها : « - يؤلى الله شيئا ، ويعتبر قلبي حزنا تعدد الأمور ، وأعجاب كل نبي رأى رأيا وقد دعوت الله أن يهتدى الحق ويهدى الطريق ، التزم ويوقى إلى الاحتياك بالخدمة الإسلامية فقد علمت في قراءتي الإمام الشافعي ، وأن العلم ما كان قال حديثا وأخبرنا ، ونفى ذلك رساينا شيطانيا ، ولذلك غابى أرض في التعلم الديني المنهجي ، والله يوفقك لمساعدتي » .

و قد رُق قاضي لصاحب الرسالة ، وحاولت إلحاقه بكلية الشريعة في دولة قطر ، ولكن التعليمات القانونية لم تسمح ! . .

ولابد من وضع الكلمة النسبية للإسلام الشافعي - إن صححت - فالمراد منها أن شيعون العبادات لا مجال فيها للأراء الشخصية ، وإنما تأخذ العبادات من القول الثابتة عن المصنف ..

وقضايا العبادات قطرة من بحر في سلوك المسلمين وشؤونهم العلمية ، ولا دخل للروايات في موضوعات العلوم الأخرى .

٩٤. لماذا لم يحرم الإسلام الرقيق كما حرم النصر والبرابرة؟ وما موقفه الحقيقي من هذه القضية؟ وهل يجوز للمسلمين في حروبهم مع أعدائهم أن يبعدوا أسرى الحرب رقيقاً؟

في مطلع البعثة المحمدية كان الرقيق واقعاً غير مؤلم ولا مستغرب ولا منكر... وكانت جماعات الرأفة تروم المشرق والمغرب لا يأبه لهم أحد ولا يفكر في إنقاذهم، صلح...^(١)

في أرجاء الدولة الرومانية النصرانية كان العبيد يخدمون في صمت، وزناً قدم بعضهم عظاماً للوحوش في بعض المناسبات، وكان اليهود - وفق تعاليم التوراة - يظلمون سلايب الاسترقاق للمسيحيين وغير المسيحيين...^(٢)

ولم أرسى على الرقيق وحدهم؟ إن النبوئين في العقيدة الهندية كانوا العجاس لا تعرف لهم حرمة، ولقد وقع ابن الأرمأة يوحنا في بئر، وكان أحد النبوئين يستلج إنقاذه لي ذقت أمه، لكن الأم قبلت أن يموت ولدها ولا يعيش بعد ما لسه ميتود...^(٣)

وجه: في الكتاب المقدس أن طعام النبيين لا يعطى للكلاب... والنبيون هم بنو إسرائيل... والكلاب هم الكهان الذين كانوا يسكنون فلسطين قديماً...^(٤)

في هذا الجو القابض الظلم كانت الإنسانية تعيش، ما أنصفها فلسفة اليونان التي تنزع الاسترقاق بعقلها الفكري ولا أنصفها مواريت الشدين التي احتضنها الكهنة... وأظلمت بها الأرض...^(٥)

حتى يكلم محمد، وأصبح الناس إلى ما جاء به فزادوا هم يسمون أن البشر كلهم إخوة بينهم نسب واحد، ونسب في أرضهم فتحة من روح الله، وأنهم سواسية في الحقيق والواجبات... وأنهم خلقوا ليعملوا ويتحاربوا في أيها الناس! أنا خلقكم من ذكر، وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله

عليهم خير...^(٦)

(١) المحررت: ١٢٠.

﴿... فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٥٥) والذين كفروا

بآياتنا ينسبهم الملائكة بما كانوا يفتكرون...^(١)

وقد سمى القرآن الكرم تجريد الصناعات الحربية - للعلم الحق بداعة - سماعاً عملاً صالحاً، فقال عن نبي الله داود: ﴿... وأما له الحديد﴾ (٥٦) أن تعمل ما يات وتقدر في السرد وأصلها صالحاً أي بما تفعلون يصير...^(٢)

وجعل كل تعب يحاييه المجاهدون، وكل بذل يتكلمونه عملاً صالحاً في ذلك بأنهم لا يعيشهم ظناً ولا نصب ولا منغصة في سبيل الله ولا يظنون مؤثراً فيهم الكفر ولا يتألمون من عدوئنا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين...^(٣)

وسا يذكر القرآن الكرم ليس إلا غنائم وأمناء... ولقد اعتبر الرسول الصلاة الجنسية بين الرجل وامرأته عملاً صالحاً يثاب عليه لأبها حصاناً من الإثم، ووثاقه من الشرود...^(٤)

إن كل علم تسو به الإنسانية، وكل عمل تركوه به هو من صميم الدين، ترجع به الزمان، وترفع به الدرجات، في الدنيا والآخرة.



(٣) نبيه: ١٢٠.

(٤) سبأ: ١٠، ١١.

(١) الأهم: ٤٨، ٤٩.

ولأن الكفر للإسلام كان عواقب فرد أحسن، أو سلوك نفر متعصبين ليهان الحطب... لقد تحول إلى حرب ساخنة يصلها دين عله خصومه خارجاً على القانون، ولم يروا الاعتراف به أبداً..

ولننظر إلى صهر فارينا القدم، ولنتساءل: متى اعتزفت الأديان الأخرى بحق الحياة للإسلام، وحتى أتباعه في إقامة مجتمع له؟..

لا مجوس فارس، ولا يهود المستعمرات القائمة في جزيرة العرب، ولا الرومان الذين اعتنقوا النصرانية ليجعلوا منها ذريعة استعمار أسود أكل الشام ومصر وغيرها طول خمسة قرون.

ومع ما أحسه سلفنا من وحشة ونكبر، فقد خاضوا ضد أعدائهم حرباً عاتلة، وأسروا بكسر شوكتهم وحتى كبرهم حتى إذا قلموا آثارهم وأثروا طغيانهم قبل لهم: لکم ان تمیزا علی الاسرى والنهرین ﴿فإذا قُضِيَ لِلَّذِينَ كُفَرُوا الْحُرُوبُ﴾ الرقاب حتى إذا تخشعوا للوفاة فأما ما بعد وأما قضاء حتى تضع العرب أوزارها ﴿١﴾.

وقد يزعج البعض لكلمة (ترب الرقاب) بيد أن فزعه هذا يذهب عندما يعلم أن عربياً من أذئاب الروم، ومن ولاتهم شمال الجزيرة قبض على المسلم الذي جاء برسالة من لدى النبي ﷺ يدعو فيها إلى الإسلام وقال له: أنت حامل رسالة محمد:

- نعم، فأمر بضرب عنقه!!..

كان حمل كتاب رقيق العبارة، مقبول العرض جرمية تتالعج بالقتل السريع... يعمل هؤلاء الأذئاب من سمسرة الاستعمار الروماني المتعصب...!

إنها الحرب ولا شيء غيرها...!

ثم قيل بعد ذلك للفقهاء المسلمين: ﴿إذا تخشعوا فشدوا الرقاب فأما ما بعد وأما قضاء حتى تضع العرب أوزارها﴾ ﴿١﴾.

المن أو القضاء ليس هناك تعصير في الآية باسترقاق أحد، لم يعد الأسر شيئاً نادماً لأسواق الرقيق، كما كان ذلك معهوداً في القرون الأولى...!

وهنا نبحث: كيف يتم تنفيذ هذا المبدأ؟... هل يطلق المسلمون سلاح الأسرى دون قيد أو شرط ليعودوا إلى مقاتلتهم مرة أخرى؟..

هل يتم هذا التحرير في الوقت الذي يباع أيتامهم فيه هنا وهناك؟..

إن معاملة الأسرى ليست تشريعاً محلياً... يصدر من جانب واحد... إنه تشريع تلزم به أطراف متباينة المصالح، متعاقبة على احترام قيم معينة...!

هل يجد المسلمون هذه المعاني عند خصومتهم؟ كلا فإن هؤلاء الخصوم من عبدة الأصنام، أو من أتباع الكتب الأولى لا يقررون للمسلمين بحق الوجود، فكيف يسمحون لهم بحق البقاء وحرية التندي؟..

وعندما يوجد قتالهم دولي على «المن أو القضاء» فنحن أول من يهجم إلى الإسلام فيه، وإنقاذ عهوده... إن مبدأ المعاملة بالمثل له أثره العميق في العلاقات والعمليات الدولية، وقد قلنا: إن الأمريكيين لو عرفوا أن اليابان تلك رادعاً نووياً، ما فجروا قنابلهم الذرية فوق هيروشيما وناجازاكي!!..

والى أن يتم تقاضم عالمي على أسلوب إنساني في معاملة الأسرى انتقد الإسلام بتعاليم تحو على أولئك التكوينين، وتذكر بالأخوة الإنسانية وتوصي بالرحمة، وتعاقب على الغلظة، أو بعبارة موجزة: جفف منابع الرق جهد الطاقة، نوع أسباب التحرير والانطلاق فليس هناك أمر باسترقاق، وإنما هناك أوامر بالإعتاق، وقد بسطنا ذلك كله في موطن آخر ﴿١﴾.

قال لي شخص من المثاقيرين بالاستعمار الثقافي: إن الحضارة الحديثة هي التي حررت النساء والأزواء، ولا ريب أنها انصرفت إلى ذلك من موازيفها الدينية...!

قلت له: إن الحضارة الحديثة مكنت ناساً لهم فظروا سليمة من خدمة البشرية مثل أبراهام لنكولن الذي قاد حراً شديدة التحرير العبيد، وقد لقى الرجل مصرعه بعد هذا الجلاء، كما لقى غاندي مصرعه على يد هتدي متعصب لدينه...!

وأصبح الفطرة السليمة الذين جاهدوا في سبيل هذه الغايات النبيلة كانوا يسترحون خصائهم وحدها...!

(١) حقوق الإنسان بين تعليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.

٩٥ ما موقف الإسلام من الحضارة المعاصرة؟

وهل يمكن القول بأن الإسلام حضارة خاصة ينادي إليها؟

هناك جوانب في الحضارة الحديثة جدوية بالا احترام كله ، بل أعتقد أنها امتداد أو انطلاق من الفكر المتحرر الراشد الباحث من الحق ، الحق بالمعرفة ، المستعمل لآمن موافب الإنسان ..

إن الوصول إلى القرن في قضية حسية أو عقلية ليس شيئاً رخيصاً ، إنه نعمة غالية لا على موافب البشر بل هو الاستجابة الوحيدة لقوله تعالى :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ بِكَ مِنْهَا نَبْإٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ ۖ﴾ (١)

وهو كذلك البعد المطلوب من نهج المتحررين والمؤمنين والعاصرين الذين قبل فيهم :

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَىٰ مِنْ الْحَقِّ ۖ﴾ (٢)

والحضارة الحديثة نجحت في ميدان البحث العلمي ، وجمعت في الدراسات الحديثة كلها ، وهذا النجاح - في رأيي - يجعلها أقرب إلى منطق القرآن الكريم ، وأدنى إلى منهجه ، وبأن التفكير في الكون أرضه رسمائه وما بينهما ، مطلب أهم لا ريب فيه ..

والسلمون يحملون أوزار التخلف في هذا المجال ، وقد دفعوا نسيه فادخاً ، وأرى أنه من عيبان كلة ، والفسوق عن أئمة الاشتغال بأبطل المقيم ، وانفسه ما وراء الملة ، وتفتيق الخلاف وكثيره في شئون يستوى فيها العلم والمهل ..

إن الحضارة الحديثة اكتشفت كثيراً من قوى الكون وأسواره ولها الآن حصيلة كبيرة في علم الذرة والفضاء و "الاكترونيات" و "الكيمياء" وقد ظلت آثار ذلك إلى تفوق مدني وعسكري في البر والبحر والهو ..

ومع هذا سبق البعيد ، فإن الحضارة الحديثة لا تزال واقفة عند العصور الحجرى في ضبط الفرائض ، وترويض الحيوان الرابض داخل الجسم البشري ، وكبح الأثرة السعرة ، وجعل المرء يحب ضيقه ويمار على حقوقه ، أو على الأقل يعدل مع غيره ، ويعترف له بيقينه طوعاً لا كرهاً !!

(١) القصم : ٧٨ .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

لبن محمد الموريت الدينية في تحرير النساء عندما تقرأ رسالة بولس الأول إلى أهل كورنثوس ، الأصحاح الرابع عشر وقوة ١٤ وما بعدها : فقصمت لسأؤكم في الكنائس لأنه ليس عالمواً الذين أن يتكلمن ، بل يعضن .. كما يقول القديس إيفس ، ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فيسكن رجالهن في البيت ، لأنه ينجح بإفسا ، أن يتكلمن في كنيسة ..

وأن نجد الموريت الدينية في تحرير الأرقاء عندما تقرأ رسالة بولس إلى أهل أنس : "أيتها العبيات ، اطعوا سيادتكم حسب الجسد بوقوف وورعة ، في سماعة لقديكم كما للمسيح ، ولا يفضمة العين كما يرضي الناس ، بل كعبيد المسيح .. الخ" (١)

إن رجلاً من أصحاب القلوب الكبيرة هم الذين جامدوا بشرف لتكسوف القنود التي أنشأها التعاليم البشرية على مر العصور .. وألمعية أنه لا دين إذا طست القنود وطست الأروا ..

وإسلام علامة حمزة يعرف بها ، وبلفت كل امرئ إليها ، تبدو في قوله تعالى :

﴿وَأَنفِثَ رُوحَهُ فِي حَبَابِ ظُهُورِ النَّاسِ فَأَنشَأُوا لَدُنَّ اللَّهِ نَفْسًا تَحِيَّلُ لَا تَحِيَّلُ ۚ إِنَّ اللَّهَ ذَاكُمُ الْبَاقِي ۚ وَلَكِنِ أَفْرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ﴾ (٢)

ومن هنا حكمنا بأن التقليد الذي يتعارف الناس عليها يجب تبنيها إذا خالفت العظما ..

ويستحيل أن يكون هذه التقليد ديناً وإن استمسك بها بعض الكهان ..



(١) على نفس صورة دستور فرق في الغرب ، وعلى أحد القديسين النصيين له الفلكلورة : صغر الجسد .
(٢) النور : ٣٠ .

وأقر بأن المسلمين لم يستكملوا هذه الخصائص ، ولا هم ليم اهل تلك القيادة ..
المفارقة الحثيثة نسبت لله كل الشبان ، ولم تأخذ أي أهمية لثانته ، إنها تعبد
اليوم الحاضر وتغيب مآزيره ، وتبديد الجسد وتبطل بجاليه وحدها ..

وربى باسم الإسلام ، تقوم هذا الأفعاء الزائغ ، وترفضه جملة وتقبيلها ..
أما الاعتقاد العلمي ، واستخبره لتتبعم الإنسان وتكرمه فتحن معجرون به ،
كذلك نحن معجرون بالقدور التنظيية التي جعلت الإدارة فنا رفيع المستوى ،
وأبدعت أساليب الخ الخبايا القنوى وهوان السيلسي ، وإن كان للمعجرون جعلوا
هذه العمار حركا على الرجل الأبيض ..

ولا استعنى من أن أسأل نفسي وقوفي : أين كنا حين استخرج الأندليون المنطق
من أرضنا؟ ماذا كنا نصنع؟ ولماذا قلنا كانت علا أمتنا؟ ..
أؤكد ، وأنا من علماء الدين ، أن الصحافة تحول سمعة أعمار الفكر الديني الذي
شفتنا وقتنا فيه ومحوها عليها ..

وأؤكد أن نظم الحكم في بلادنا كانت أشبه بنظم الحكم في فارس والروم على
صده سلفنا الفايح الفارسي في الجاهلية الأولى كانت أصورا وأنصح منها في العصر

الكلمة الأخيرة ..
إن محمدي الإسلام بطلوا جهونا جبهة ليعود علينا الوحي الفطري ومن صعب أن
لنعمن الآن بفتح فمه لسبهم ، ويتنفس أقلامهم ، وإنما لم يستشف - بعد - من علكا ..

وقد صفت حضارة الغرب في طريقها لا يشبهنا شيء ، غير أن الاستغراق في
الدينا لا يعقل الخيرة للاندرد ولا للمجتمع ، وقد كرخ فابو نواس : من اللذة حتى
آخر قطرة ، ثم استيقظ من سكره يقول :

إذا عرف العيسايب كصفت له عن عدو في شيب صديق ..

وكذلك يعمل الخراب الروي ، وبخواء الإيمان بأوربا وأمريكا ، إن الجماهير شعير
بالعق والضعف ، ولأثبت منا ذلك للأدب الكبير الأستاذ أحمد بهجت كتبها وهو
يزور واشنطن ، يصور أثر هذه الحضارة : قال : «صبرنا الناس هنا ملونة ، وشربهم
كشمع سقى بالدم ، وباتساماتهم حاضرة وجادة لكل نظرة ولأي سؤال .. رغم
ذلك ، نشد طيف غامض من الكآبة يلوح وراء ألوان العميون والشيعة ، ويتبدى في
هنا الصمت الذي يعرفون فيه حين يتركون للترو أو الأوتيس ..»
هنا أحد لجمال الناس ، ولكن جمال يشبه جمال الخرز الممزقة في أعطية ، إن
صفحة لية الزرقاء ، تغد بصمتها الفايح وتخطب بالجزر من جميع الجهات ..

وتل تلك نبتت هذا الحضارة في التعرف على رب العالمين ، وألمس علاقة
صحيحة معه تقوم على تقدير وتقدير نعمته والشعور بظلمته ، ولتستريح بحمده
والتعويل عليه في الأزمات والامتنان إليه في المحاروف ..
إن الإنسان مهما قوى بظلم لا يكون لها ، ويستبقى ما عشت فقيرا إلى سيده ،
لا يمسى طمأنينة إلا في السجود بين يديه ، واستسلمته لرشد ..

لكن من أين طرقت الخلل إلى هذه الحضارة حتى إنه ليهبط مستغلبها ..؟
قد يكون الجواب : من غرور اللادين بما وصلوا إليه ، واستغاثتهم بما ههروا فيه ..
والغرور بالظلم داء قديم ، وقد حدثنا القرآن الكريم أن أما عصرت هذه الأرض قلنا ،
وأنامت بها مدنيات فخمة ، وأنها انشت بما تشر لها من لذة وسخرت بما أقام من

صحيح ، فمناذ كانت عقابها لم قلنا جادتهم وظلم باقيات فرحها بما عندهم من
أفهم وحق بهم ما كانوا به يستعزون بها (١)

والاعتراف بالظلم العلمي مرض مخوف ، يبد لنا في أروا به وحده مع هذه الحضارة ..
لسبب الأول ناشئ - فيما لا يخفى - من خيانة أهل الأقدان لرسالات الله ، والاسترخاء العقلي

أهل الكتاب قدما من عند أنفسهم تعلمهم نسبوها إلى الله ، صاق بها العمل ،
وتزمت بها المفردة نسب المراك بين العلم والدين ، كانت النتائج المروقة ، الخلد

العلم وساه منه بالوحي كله ..
وأما المسلمين فقد أولوا في إبعاد عن دينهم حتى أسرا في دلة ودينهم في دلة آخر ..

الاعتكاف الذي هو مريضه عليهم حسب وصية الكتاب تحول إلى تقليد وجمود ،
وأذا عرض له تضاد قولي ما وراء المائدة لا في المائدة نفسها كما شكرنا مراك ..

ومناظر الحياة الإسلامية الأولى ثلاث ، وإذا قال شرقى :

فما نرى تسمين ، والمخلصة يستع الأعرشوري ، والمخلوق قصدا ؛
وجعلت التسمين في أعصر حتى يؤكد أن الأمر الاستبداد ، والمخلوقة انقضاء ؛
وسر الشريعة رياء وتقيد ، واستشرق صوازي من التلب والتفكر برهانها ..
على حين ظهرت الحضارة الحديثة بأساليب تنافسية وأدوية أدنى إلى النظرة
والشورى والاستخار لمخر وإن شايها ما يساهل من قوى جامع ولسراف كثير ..
وصلاح الحياة لا يتم بدم الساطل ، لأن الساطل جدير بالارثاء كلا ، لا بد أن
يكون الحق تام الاستعداد ليصل معناه ، ويؤدي عمله بقدره أصغر وأقرب ..

(١) سورة الحجر ٨٣

٩٦. هل في استطاعة الإسلام أن يقدم حلولاً للمشكلات الكبرى التي تعاني منها الإنسانية اليوم؟

تقع العبث والناكل عندما يهوط الإنسان فيما يجب عليه ، أو يستهن بما يتبع منه ... فحزنت الطرق تشاح غلباً من الحرقة الزائدة عن الحد ، أو من التعرف البائت ، أو من خروج الدور عن السار العدد ..

ولو تبع الناس للتعليم الصادرة إليهم لواقعهم الله سيئات كثيرة ، ولكن لو ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس^(١) .

ولسنا ننكر أن هناك اندثاراً قاهرة تعرض لنا بما ذكره ، ونساجناً بما لا دخل لإرادتنا فيه وهذه المسائب والناكل لا تؤخذ بتوقعها ، وإنما علينا أن نتصرف تجاهها ببنات وتسلم ، لا يهيج وتزد فهي بعض بلاد الدنيا الذي يختير به^(٢) .

ولكنني أستعرض مشكلات كثيرة في عالمنا المعاصر ، فأجد أضلها من صنع الناس .. إنها تنتب في غياب الإيمان الصحيح ، والاستجداء ببر الله ، والاستجداء بالملامات خفراء والأعمراء التي تعمم من الزلل .

العلق لتسديد محنة كمنته وراه لرفض لورجى طلباً للزق ، إن هؤلاء لراغبين قد يبورسون قواعد الحلال والحرام ، بل قد يبورسون الحجة والشفاف كي يصدا قبل غيرهم .. ثم نمر هنا السمار الذي مالا الدنيا لا لتفسير له إلا الجهل بالله ، وغيابه على الخلق وغيابه الزرق ..

وأذكر حد جملة من الحقائق لادنية غير خاش من تولى الجبهة لها وانحرفهم بها .. لو كان :حسان صديق تيبيل تخلق جز العشرة ، مأمور الزيادة بجماله واحته الظلمة في صحراء هذه الخرافة لتكون صلة المؤمنين بربه أول من هذه الصلة؟ وبه توجد الجيدة لله^(٣) : إنه ألا هو كالأشياء العتيقة^(٤) .

٨ (٢)

١١ (١)

ورغم المروءة الرشيدة يهجم الجهمال ، ويكسب الجهمال شحوه من المروءة النفسية ، حتى لنتمكن نحن لغيرين قللاً يبدو وسط أسر الحياة وسهولتها مثل حزن غير مفهوم من عرس من عوفا الحياة ..

بالنسبة لكثير من الفروقة تدور لندن عاصمة مبهجة في الصيف ، هي سوق عطيفة للرح والمنة والجند والحب واللهم والبرية . كيف تقهر إذن هذا البحث الذي قامت به إحدى شريكتي المحوث ، وكانت نتائجها : إن مليون بريطاني يمارزون من الكتمان نفسى ، وإن من فضل أن يقبل تلك هذا العدد على الاتحاد بسبب الكابة .. كيف تقهر أن نصف الممارين بالاكتمان من النساء ..

استبعد البحث مشكلة انطالة كسب زنى للكاية .. وأشار إلى المشاكل الزوجية والزلية والإنسانية

عادت لظفر في رجوع نفسى ..

أولاً ، مكتوب ..

إن النظرة السريعة تقول إن نفس تعيش وسط تنم عليهم في لندن .. كل شيء حيسر .. لا صوت للتواري ولا صوت للناس ، وكل ما تريد موجود وحاضر ، هناك مكان في الأوتيس والتزو ولناكسى والقطار ، ليست في الحياة اليومية مماناة كالحياة اليومية في مدن لعلم الثلاث أو الفرق ..

إن اللدنية الحديثة توفر للناس جهودهم الإنساني وتقدم معهم بأداء كثير مما كان يقضى جهداً بدنياً أو ضلماً ..

والخدمات أكثر من الحاجة إليها ، ولعرض أكثر من الطلب ، وللتخمين لا يستمعى عليك ، ولا يكلم معك في الخطأ أحد .. إننا نكتب الناس إذن وحاجتهم نفسى بطف الحيرة والكمالية .

إن الحضارة الغربية تكفى هنا عن أحد أسرار الحياة .. إن للتخلف مشاكله وللقدم مشاكله ..

وليس مشاكل التقدم بأعنف في الجوانب في مشاكل التخلف ، هنا توفر الحياة للناس وقتاً يتصرفون فيه في حياتهم وهدف هذه الحياة ومسيرهم بهدماً ..

وهنا بعض الناس يولجونه القاسية رغم كل مبهجات المعيش .. إن الوضع الصحيح لوجه الإنسان أن يكون قابلاً له لا مستغلاً بنفسه ، وأن يسترشد بوجه لا أن يفتر بنفسه ، بيفتت اعظامه ..

ما نصف الإنسان إذا لم تسند قوته .. وما أشقاه حين يحرم كرمه ..

فما مضى تجاهل هذا الواقع ، الاطلاق في الدنيا دون رضى ودون غاية ؟
 الإيمان بالله وصلاحه هو لاخير حل تلك للمشاكل ، والإسلام يعرف الناس بهم
 على نحو رائع مشجع مشجع ، يشعر للرب والقلب بهداه ويجعل الله إنا كبر فرح إلى
 الملاذ ..

ثم هو يتنزه ما أصابه وما اختلله عازياً ، من بدير الأبرار فيقول : اللهم منع
 لنا عيبك ولا تمنعنا منك ولا يمنعنا منك الله ..

وعند هذه الجملة الأخيرة نقف قليلاً .. فالمصالح المخطوطة الحسنة قد يكثر
 أو يقلون في هذه الدنيا ، غير أن مجرد وجودهم يشير للثيرة والتساؤل : لماذا أوتوا هذا
 الثراء أو هذا العدم أو هذا الرجحان ؟ ؟

ويؤكد الإسلام أن هذا الجهد لا يهدى أصحابه شيئاً ، ولا ينفعهم عند الله أبداً
 إن بعض ما يسألون عنه يوم الحساب ، أو هو جزء من الاختبار الذي يكون
 للبعض بأجمع وللبعض بالفرج ، ولا امتياز هناك لأدب كريمة في الدنيا عذرية
 يوم القيامة ، وذلك من ثمرات الإيمان يوم آخر ..

ومن المشكلات التي يشكو المسلم منها الفقر التوطن في بيئات كثيرة ، وأحب
 أولاً أن أذكر القاعم حتى تفيض الحكام أعرف موطناً في وزارة العدل بقوت
 أسرة كثيرة .. عرضت عليه يوماً مائة جنيه كي يدع أحد الخصم يستولى على وثيقة
 تملكه في ملف تحت بنداً وأنى الموظف الشريف مع أنه كان يبيت طارياً لبعض
 أولاده ، وكذا بحاجة إلى جنيه واحد إلى مائة ..

هذا التغيير وأمثاله هم الذين قال الذين عنهم : إنهم ساداهم الجبة ..

وأعرف أن لزعم محمد بن عبد الله ما كان يملك من أرض في سبيل أسعاه كي
 يعرض لشكري رضى من الاحتلال الإنجليزي هذا فذكرنا بالسائقين الأولين
 من البحريين والأفسار الذين ضحوا بالدينهم في سبيل عقائدهم ..

وأعرف أيضاً كانوا يذكرون ضيقاً أو كذا يذكرون ضيقاً ملكاً ولوا الحكم
 فاضت أيدى عليهم سبلاً وصلاً ، فأضاحوا هم وأولادهم وأصدقائهم ومن يلد
 به أصبحت جاه عريض ومال عوداً ..

فولاء : أغنياء من سحت من الذين قتل الذين عليهم : إنهم جمهور الناس ورضي

إننا نحيا في رحمة الواسعة ، ونعمته البذيلة ، ووركان الهامة ، ولكن تلك
 كله ينسحب النافية إلى قبل في تلك الشعور بها : الصفة تاج على رؤوس الأصحاء
 لا يراها إلا المرضى ..

إنه شيء مؤسف أن يقل إحسانا بقض الله الذي ينعون بالليل والهار .. ثم
 يتضايق جزواً بشكري إذا فقدنا بعض ما نؤوى ولقريب إننا نعتبر ما نتقده هو
 مصلحتنا المؤكدة ، أو الغير الذي حرمناه .. إن مرفقنا مع القدر تكرر لوقف مرمى
 مع اخضر حين اعتبر ما يجعل عليه ..

مع أن القصة ذكرت لتقول لنا : رب ضارة نفعه .. رب أمر نكون بديته
 وحسننا بديته ، فنفسي أن نكونوا شيئاً ويحصل الله فيه خيراً كثيراً (١)

هناك أجيالنا للإنسان لا عرفنا ما أزلت مشكلة العلق والاعتساب والتوتر التي
 تسود المسلم .. وأرى أن الفرد البشري أو إحسان الإنسان بأنه يقوم وحده من وراء
 تلك المشكلة ..

لقد جيل إننا مع التقدم العلمي الجاف إننا مندور هذا الكون وماكرو زمانه ..
 وإن الإنسان يستطيع النفس وحده إلى هذه دون صحبة من رعاية عليا ،
 أو مساندة من رب قدير .. وهذا هو الجفاء الغنى ..

إن الساحة التي تعمل فيها أرونا القوة جيدة جداً ، حقاً هو موجود بيد أنها محكومة
 بطورف لا دخل لنا فيها منذ ولدتنا إلى أن نمت ، ما أغنى لسمكة التي تفل أنها صمت
 مبه لجلد واجليات ، وأنها صمت الجاهل التي تستعصى بها ألقاسها وسط الله ..

الواقع أن الخطأ الذي تحكم حياة البشر جمعاً ، وروما وصيفاً ورمعة جزء من
 الخطأ الذي تحكم النفس ، وقلب كواكب بين شروق وغروب ..

مبتدونا ومبتدونا وما بين ذلك ينزف عليه في تبارك الذي بيده الملك وهو على
 كل شيء قدير (٢) .. فقل من يسمه ملكوت كل شيء ، وهو يعصم ولا يحضر
 قلبه (٣) .. فلو أن تد مع الله إليها آخر إله إلا هو كل شيء ، فذلك إله رحيته له

الحكم وإليه ترجعون (٤)

(١) سورة البقرة ، ٢٨ ، (٢) سورة البقرة ، ٢٨ ، (٣) سورة البقرة ، ٢٨ ، (٤) سورة البقرة ، ٢٨

والمعانة هي سلم الكمال، وبمعنى قول أبي الطيب:

لولا المسقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام آتالهم ..

وشعوب العالم الثالث تحسب السعد والنص طواع فاكية أو كما صور الأستاذ مصطفى أمين بحسب أحدهم أنه يجلس على كرسي في مقهى، وكما يصفق بيديه طالباً من السائق «واحد شاى» يصفق طالباً «واحد حشوق إنسان» أو «واحد حريات شعوب» أو «واحد عدالة اجتماعية» ..

ولندع مشكلة الفقر فطالما كتبنا فيها، بل استفتحنا حياتنا الأدبية بالحرص في ماسيها ..

ولننظر نظرة خاطفة إلى مشكلة أخرى هي السلام، وهي مشكلة قد يؤدي تجاوزها إلى أن يفقد العالم حياته وحضارته كليهما. بعد ما أصبحت أدوات القتال ذريعة إلى إبادة جماعية ..

والساسة الذين يتحدثون عن السلام لهم منطق عجيبة فبئر إسرائيل يتشولون السلام بعد أن يدمروا الوجود العربي في فلسطين، وضعموا الخطة لإقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى! ..

والروس يتشولون السلام بعد ابتلاع أفغانستان إلى جانب آسيا الإسلامية كلها، واعتبار الدين خرافة لا معنى لبقائها ..

وجنوب إفريقيا تطلب السلام بعد إخماد أنفاس الرنوج وحرمانهم من منزلة البشر أو من مكانة الجنس الأبيض .. والأمريكيون يطولون السلام بعد تأييد اليهود ودعم حقهم في بناء السعتموت على الأرض العربية وقولهم: خلقت إسرائيل لتبقى .. إلخ ..

إن العالم أمام لون من النفاق والتبجح يستحيل أن يبقى معهم سلام .. العمل أولاً ثم المطالبة باحترامه، والتسلح للثود عنه ..

ويستحيل أن يوجد سلام، ما حكم الدنيا منطق الغابات .. إن القرآن الكريم ناشد أهل الإيمان أن يحرموا على السلام، ويستريحوا إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١) ..

(١) البقرة: ٢٠٨.

لكن هناك نقرة ننا من آفان عضوية في الكيان الإنسانى واللكات التى زرد بها أصلاً، وهو الفقر الذى ينتشر فى الأقطار المختلفة، أو فى أرجاء العالم الثالث .. إنه فقر عمود وصعلكة، وهو فقر ينكره الدين، ويعد أصحابه أميين، أو عجزة ملوميناً ..

إن الله سبحانه يسر كل ما فى الأرض من خير للإنسان، ومكنه من إزقائه .. ولم يطلب منه إلا أن يعرف حقه ويشكر فضله، فإذا جاء أمرؤ أو جاءت شعوب، وتجاهلت هذا البذل، وزلت أن تعيش عارية بدل أن تكسى! أو جائئة بدل أن تطعم، فهى شعوب مجرمة ..

وقد رأيت ناشاً ينتمون إلى الإسلام - وهو انتماء مرب - يشبهون الثعلب الثى تأكل من فصيلات الأسود، زاهم أمام قوى الكون، وأسراره حيرى، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ..

إذا جاءهم الغيث شهبوا، إذا هاجسهم انجفاف تضربوا وتسلوا .. لو وضعت مغناطيس الكونز بين أيديهم لمجزوا عن إدارتها، وقفوا وقوفاً أمام خيراتها الملققة .. هؤلاء جديرون بالفقر حقاً .. ولعاجهم يحتاج إلى تغيير نفوسهم ..

وإذا كان هؤلاء محنة فى الميدان الاقتصادى فهم كذلك محنة فى الميدان السياسى! ..

ذكرتهم وأنا أقرأ الكلمات التى كتبها أنصار زعيم المعارضة الفلسطينى الذى قتل فى مطار «دمايلا» .. لقد وضعموا فوق رفاة هذه الجثة .. لا مكان لمنفعة لولم يكن هناك عيب، نعم، إن أى فردون لا يوجد إلا حيث يكون الأوغاد والأناث ..

والفقر، من هذا المنصف يمدون أكفهم فى الأزمان، وباسم الإنسانية قد يضع الأوقواء فى أيديهم بعض ما يستبقى الحياة، وما عليهم فتشقى أيديهم الضللى وأيدي الأوقواء هى العليا، لكن إلى متى؟ ..

إن الحل لمشكلة الفقر هو العمل لا الاستجداء، هو فهم قوله تعالى للناس: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١) ..

وذلك يتطلب تغيير نفوس لتنتج بدل أن يكون قصارها الاستهلاك ..

(١) الأعراف: ١٠٠.

٩٧. ثم تفسر التكتسيات التي أصابت الأمة الإسلامية،

بليدنا من الخلاف الداخلي بين على ومعاوية حتى يومنا هذا؟

اجمع أئمة الألباب من علو وصديق على أن الإسلام عقائد وشرايع ، وحدائق ومعاملات ، وأخلاق وشم وتزاييد إدارية وتقاليد اجتماعية ... وإنه يكفل أنباهه بتطويع الشئون لمعادية خدمة ذلك كله ..

وكذا في آفته ، دراسته الإسلامية تعرف الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي ، وبين الإسلام والحكم الإسلامي ... الإسلام وحى معصوم لا ريب فيه ، أما الفكر الإسلامي فهو عمل الفكر البشري في فهمه ، والحكم الإسلامي هو عمل السلطة البشرية في تنفيذه ، وكلامهما لا عصمة له ...

وعندما يخفق مفكر فإن خطاه لا يبقى طويلا حتى يستدرك عليه مفكر آخر . وعندما يخفق حاكم فإن زلته لن تطول حتى يعزوها ناكذ راشد ..

والأمة الإسلامية - بفضل الله - لا تجمع على خطأ ، وحيز الدعوة بها حساس ، وهو عن طريق التعليم والأمر والنهي يتصف الحق ..

ولا كانت هذه الأمة حاملة لوحى الخاتم فإن القدر يؤيدها إذا استرخت أو فرطت حتى تترنم الصراط المستقيم ، وتضيقها بالهدمين الذين يتبارون على حقائق الوحي وسبل فقه وتسايل حكامهم ... قال تعالى :
(١) وَبَيْنَ حَقِّهَا أَمَةٌ يَهْدُونَ بِأَنْحَاءِ رِيهَ يَقُولُونَ كَـ

ومن هنا لتقديم يشير أنه لا حرية في وجود أخطائه في تاريخنا الثقافي وسياسي ، وإنما الحرية في التستر على هذه الأخطاء أو الاستمحاء في معالجتها واقعية على آثارها ..
وجهور المسلمين يعلم أن سلطانا الأول شعله وقال الاستعمارين لوروى والجورسي ، ولملم أشرف وقال حورقة لادنيا ، ولكنه يشير بغضاضة ولم لا أفتق ذلك من قتال داخلي بين اثنين أنفسهم كانت له آثار بعيدة المدى على حاضرهم ومستقبلهم ..

(١) الأعراف ..

لماذا جعلت إن أمروا عن هذا النداء؟ مستعنى الأرض بالاحزان والخراب
فلم يستمع إن ترويتهم أن تغدوا في الأرض وتقفوا أرواحكم (٩٨) أو تترك الأنبياء
لنهم الله فأصمهم وأصم أصمهم (٩٩)

لقد زلت عصما لينة صا يصيب لرجال والنساء والأطفال في أثناء الحروب من أسى وصباح بهتان الألسان ، ويسترحمان الحمار ولزابت صورا قافية مكية لاحقت على عرش الطريق أو تحت الأقباض ، أمت رقاتنا هاهنا وولت عنها بشافة الحياة وأهلها المرأسي ..

إن الحرب شيء كرهه حقا ، ولزول المسحورين الذين يشعلون نارها ويحرقون آثارها ..

وفي الأديان السماوية كلها لم يأن الله بحرب عدوان ، وإنما أذن في حرب تحمي بها الحقوق وهتان الحقائق ، وتبني فيها بيوت الله قائمة لعبادته وحده ..
وفي قراءة صحيحة يقول الله تعالى :

وَلَا دِفْعَ اللَّهُ لِلَّذِينَ يَحْمِلُونَ يَتِيمَتِمْ إِلَى رَبِّهِمْ وَأَسَاجِدَ يُدْخِرُونَ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا (١٠١)

لا يكلف بتركها تحت يرق الحيوف ..
وإذا خلعت البيات يمكن إقامة مؤسسات عالية للحفاظ على السلام ،

بعد غسل النفوس من الأثرة والبغى ، وإشجارها بأنها أول وآخرها من الله ببلات رابته صغير ..

(٩٨) النج ٢٩

(٩٩) محمد ٢٣ ، ٢٢

ولكى أن المروج القليلة عند العرب كانت من رواد هذا الانحلال كله ، فقيه وحديثه ..
 وعلى العرب في اختيار الإسلام ، وليس على تعليم الإسلام أن تأخذ التقليد العربية .
 والمغرب مع بعض الأم القليلة - كانوا يؤخرون الملة ، ويستيقنون بالاشياء كان
 اليهود يحكمون على الروجة في تتصرف بعد وفاة زوجته ! وكان عرب كثيرين يبدون
 البت بعد ولائها ..

وبناء الإسلام فاعلم حوثاً شعواء على هذه التقاليد الهمجية ، إلى أن رد للمروءة
 كرامتها ، وصحت حقوقها المادية والمعنوية ..

لكن الاستعانة بالاثرة بقيت كاملة في النفوس ، تتفق تقاليد وهو أخرى
 حتى كانت تعليم الإسلام تطوى وتقل محلها التقاليد العربية الأولى ..

وظهر ذلك أول ما ظهر في حرمات الملة من التعليم ، ومن حرماتها من خضبان
 المساجد ، وللمساجد في الجساعة ، وقد وازنت بين العنصر الواردة والتشريح
 الصاحبة لها فأبقت التناقض الفصحكة ..

جاء في الصحاح من أم علي رضي الله عنها قالت : أربنا رسول الله ﷺ في
 الفطر والأضحية أن يخرج المواقف - الثوب الباعث - والخميس ، وفوات القدر -
 الكونيات في الأستار - ولكن الخميس يعتبر في الصلاة ، وبشهادته الخير ودعوة
 المسلمين : قلت : يا رسول الله ، إحدانا لا يكون لها جلباباً قال : لبسها أخوها من
 جلبابها .. أي تستعير من إحدى المسلمات جلباباً وتخرج لتشهد الجماعة ..
 قال صاحب الفتح : الجامع للأصول في أحاديث الرسول : هذا كان في سالف
 الزمان . أم الآن فلا يجوز خروجهن إلا من عليهن من زيادة التخرج ، إلا المحجرات إن
 كان لهن مكان خاص ..

وسأحب لتاج غفر الله له يتابع في هذا الحكم علماء السنة من قبله ، فإن
 شروحن غالباً أن تخرج من هذا المني ..
 ولأنك أن ذلك الترخيع يحدون بعيداً من مراد الرسول ﷺ ، وتقرهم التقليد
 العربية ، فيستخرون بها أحكام الذرية ، وضررات الدين ..

وفي حديث جابر - وهو في تنهني الصحة - أن امرأة من وسط النساء سغفاه
 الخطين ، استغفمت من الرسول من بعض ما قال في خطبة الميبد .. ولستمأه
 الممرأة وثأراً ورضي ، أو التي في حمرة خديها سموة ! ..

وجهمهم للفتاه والذين وللمعة يؤكده أن على بن أبي طالب - الخليفة الرابع - كان
 إمام حتى ، وأن مولي بن أبي سفيان كان يمل شقه وبعثت في خروجه على علي ..
 وشاء الله أن يكسب مديونية هذه الممارك ، ومن ثم تحولت الخلافة لراشدة إلى
 ملك عبودي في بني أمية ..

ومع أن هذا التحول كان حربة للمحق ، ورضة موجعة للمثل العليا إلا أنه من
 العذر للروى فيصحب نتائج لا تأتي :

(١) إن الخلفاء أو الملوك الذين ولوا أمور المسلمين بطريقة غير صحيحة أظهروا أن
 ولاهم للإسلام .. وأن التغيير في أشخاص الحاكمين لا يعني التغيير في القوانين
 أو الأهداف الإسلامية ، ومن أجل ذلك استأنفوا الجهاد الخارجي ، كما ذكرنا
 للتفهم حجة الحركة ، ما لم يمسوا سلطانهم في الزعامة ..

(ب) إن العلم الديني مسمى في طريقة يوسع الأفاق ويربي الجماهير ، ويعتبر
 المطلق الإسلامية كلها في الناحية النظرية ، أي أن الإسلام للشخص مع الزواره
 عن السلطة بقى قديراً على الاعتدال والتأثير ..

(ج) مع أن الملة كانت عربية ، تعصب لجنسها فإن الجماهير ولت تعليم الإسلام
 وحدها ، ولقت قنادها في أغلب المواقف لتفقاء ورواه مبرين من الأجانب ..
 وأجدني هنا موقفاً لتؤكد حقيقة مهمة : إن الجنس العربي له خصائص وقيمة
 وشمته تظهر الإسلام فيه ، واختيار النبوة منه ، وهو إلى جانب ذلك جنس له
 نقائص متكررة مثل الاعتزاز بالنسب إلى حد السيف وازدراء الخوف من فلاحه
 وضمانه ، ولغرض على الإدارة ولو بطريق اللط والطف ..

وقد أفاق الإسلام في خصائصه ، وخبر من تغاضيه ، ومن أجل ذلك نريد أن
 تتبع لواصل بائنة بين تعليم الإسلامية والتقاليد العربية ، فإن الأخيرة غلبت
 الأولى في مجالات كثيرة .

إن امرئين عربيتين احكمتا في ذرايعهما مهام الخلافة المعطى بصفة قرون إلى
 أن سقط الإسلام بهكاهم هؤلاء تحت وثاق التار في بغداد ، وكنت وثاق المسلمين
 في الاندلس .. بأي منطق ربح ذلك ..

إن ديننا على الشرائع والمعامل لا يحمل هذا السمة !
 وجاء المعتمدون ففسدوا العرب وأسلوا يكون عثمان التركي أقل من حرب
 أو طامع المولدين في بطحاء مكة ؟ لقد بقيت هذه الظالة حتى أثارت لواء الخلافة
 عن الاستانة وحلت بالإسلام بكية هائلة مهيبة ..

٩٨. هل نجح الإسلام في تحقيق أهدافه خلال تاريخه الطويل ؟

عندما قرئت هذا السؤال أسرعنا بقولنا : لا فلا لا يوجه هذا السؤال إلى الدينين السابقين عليه من الناحية التاريخية؟ هل أحدهما أو كلاهما حقق أهدافه ، ونرى في العلم صبيحة؟ ..

مكان العلم الآن أربعة مجالات ونصف تقريباً ، فبهم مليار مسلم ، ومليار هندي ، ومليار رشي .. لائق شيعيون ، نكلم هو الهند ، القارة الهندية ، يمكن إحصاءه ..

غير أني أثير في الإجابة من ناحية أخرى ، أن الإسلام لا يمثل نفسه عندما يمثل في شرق الأحياء جميعاً تحت لوائه إنه يمثل الأديان كلها في الحقيقة ، بمعنى أني مسلم أني أني تجرسي كأحد أتباعه الذين عاصروه وأبوه ، وأنهم كذلك يجسسون كواحد من حوزتيه الذين يعصونه ويتصورونه كل ما هناك أني لاسم إلى الإيمان بهذين الرجلين لصالحينا إنيما برجل آخر هو أخ لهما ومحب لهما جميعاً ، رجل تلقى عن ربه هذه البشارة فما يقابل ذلك إلا ما قد قيل لبرس من قبله (١) ..

فإذا لم ينجح اتباع محمد في بسط دعوته على الناس ، فمعنى ذلك فشل الدين كله والمرسل جميعاً ! ..

هنا عندما يكون الرضى لخصائص الرسالة المروضة إما إذا كان الرضى لسوء خلق المارضى ، وقصدته ثبوتى الصحيح ، فإن اللوم أو التساؤل لا يوجه إلى الإسلام ، بل إلى الأمة أني أساءت للبلاد ، وشذبت المبادئ التي تحملها ، ويبدو أن ذلك هو المقصود من السؤال ..

ولما كان الأمر كذلك فإن السؤال يجب أن يصاغ على هذا النحو : هل نجح المسلمون في خدمة رسالتهم خلال عقرون الأربعة عشر ، أم كان فشلهم أغلبياً ؟ .. ومع أني شديد اللوم لأقصى ، وألم بتفريق لها فائتي لا أستطيع أبداً ألومهم بأن

(١) هفت : ٣٠

وطالبهم أن المرأة كانت سلمة لزوجهم دون حرج ، وهذا أمر عاوى فيه المتعصرون لبعض التقاليد البربرية .. أما تعليم الإسلام لموضع نظر ، لأنها تختلف ما ألفوا من تقليد ..

ومن اللبسكات التي أصابت جماعات المسلمين ، وأدعت قوائم من قدم ، انفصال الحكم من العلم ، وسرور كل منهما في مجرى اختصاص به ، لقد كان الخلاف الراسخون حكاماً ونفهاء مثلاً ..

ولست أرى بقلعة الاستعمار في تفاصيل المجلات ونزوح الأحكام كما يتصور الناس ، كلا .. كلا .. إنا أرى بقلعة الإسلام إبرك الأصول والقيادات العلمية لئلا الله ، وأدراك ما يدميها من حرج وما يشين غيرة من شبه ، ولقدرة النفسية على التمسك بالبعد ، ولكن ولقد .. أن الأمر لينتهي في مدار الأخيرة عندما يرى كرامة العلم الصراحي يختارون أعلامهم وأزكاهم وأجلهم على خدمة الدين ، وعندما يرى معتنقى الشيعة يختارون أئمتهم وأهمهم وأجمعهم على خدمة للمعصية على حين يقود المسلمين على مر التاريخ رجل أعظم مؤلفاته أنه ينتسب إلى المصروف على شابه أسية بن حربيا أو الصحابي المعروف عباس بن عبد المطلب (١) أو ابن الأناضول عثمان بن جيان بن بيلابا ..

إن أولئك الملقاه لا ترشحهم مواهبهم الخاصة لتعصب قى بالك ، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله إلا ما يشجب هذا المالك ، بيد أن تقليد العرب أوجرت بتعليم الإسلام كرها ودفعها في هذا الجري ..

وإذا عن ذلك أن العلم بدأ يستوحى ، وقد كابر وقام واستحسك بعقده في الحياة مستمداً كلامه من تعليم الإسلام ، وما بقي له من كرامة بين الجماهير ..

لكن العلم وأرضي الناس منه خاصة ، أخذ يحدو ، ويكلم رجائه ، وأهزفت عنه كل الأصناف الطبقات الشريفة ، أو الرشحة للوظائف العليا ، ولم يبق على الوفاء إلا بعض النصارى بولادهم في سبيل الله .. أو بعض الذين عز عليهم السير في جيلان آخر من مبادئ المرونة فزعموا يا محبي عنه ، أو لا غير منه .. ومن انفصال العلم عن الحكم روث المسلمون المعاصرون مشكلتين جديدتين تلتحق بالمعنى الأولي : حدة العقول الكبيرة إلى الغرب ، والأخرى : زيادة الأربعة الحاملة للثقافة ، وللملها للثاني تحت أقدم الشجبين ..

(١) نحن نكتب شيئاً من أسواق ظانين ، وهو طبع الصلاة والسلام الذي شرع لنا سنن الخلافة لفرسيه ليس لأحد من أسرته أن يهبطه إلى غيره بجمعة قرون ..

اليهود أو النصارى كانوا أخيراً منها حلاً ، ولا تخدعنى الوتران السياسية المعاصرة عن تقرير الحقيقة .. فلا يزال المسلمون يرغم جراحاتهم الخطيرة الأولى بالله ، وأعرف برسالاته ، وأسلك لأسباب العافية ، وأحقى بالبقاء ..

وما قدموه للعالم ، وما ينتظر منهم تقديمه يرجع كفتهم ، ويعلى حجتهم ..

إن الإسلام انتقل بالحياة البشرية نقلة حاسمة فى عدة مجالات :

(أ) تقى عقيدة الوحدانية من كل شوائب الشرك .

(ب) رفض كل عنصر فى الإيمان يناقض العقل .

(ج) أقر المساواة فى الحقوق والواجبات على اختلاف الألوآن والأديان ..

(د) خفف من ويلات الحروب وحرم الدمار الشامل .

ومع ما تعرض له التاريخ الإسلامى من مد وجزر ، وفشل وازدهار ، فإن الأمة الإسلامية قومت طابعها التميز على الفكر البشرى ، وجعلت خصوصها يراجعون أنفسهم ، ويجعلون بعض موليتهم أو يتخلون عنها ..

كانت صورة الأرومية مغترقة فى كلمات بعض المتحدثين عن الله إذ يبدو رب العالمين وكأنه شخص حاسد ذاهل يخطئ ويندم ويجعل ويتراجع ، ويفتقر إلى من يرشده ويصحح له عمله ..

نأمل فى هذه العجارات : لا أقر الله الانتقام من بنى إسرائيل بعد عبادتهم للعجل قال موسى له : أرجع عن حمو غضبك ، وأندم على الشر بتعليلنا فلهم الرب على الشر الذى قال : إنه يقطعه بشعبنا ..

وفى مكان آخر : فلهم الرب باعناظ لا أغضب نبوه وراثته ..

فلهم الرب على أنه ملك مثاروه على إسرائيل ! .

الرب كجبار يسبزو ، وكرجل قتال يشير غيرته ، ويهتف ، ويصرخ ويظفر على أعدائه ..

سطع دخان من أفننه ، ومن فيه نار أكلة جمر متقد ، طافا السموات والقياب تحت قدميه ، ركب على كرور وطار ، وخطف على أجنحة الرماح .. إلخ ..

وقد يعجب المرء عندما يرى أن الله أخرج آدم من الجنة غير أنه من خورثا من مزاحمته له ..

والنص الوارد أنه حظر على آدم الأكل من شجرة المعرفة خشية أن يكون مثله .. إن عقيدة الوحدانية والكمال المطلق لله سبحانه وتعالى كما عرضها المسلمون ، قهرت وبهرت وجعلت العالمين يستكينون إليها ويتجاهلون ما عداها أو يذكرونه بجهاء وانحماض ..

وهذا أثر إسلامى لا مثيل له ..

وقد غالى المسلمون بالحكم العقلى ، وقروا أن ما يرفضه العقل يستحيل أن يكون دينا .. بل هو أهواء البشر .. وهذه النزعة الإسلامية شقت طريقها إلى مستقبل الإنسانية ، وتغالت أمامها الملل والنحل .

وبسبب أن شهم الحضارة الحديثة بأنها لاتزال تختمم التفردة العنصرية ، وتتعامل مع الجنس البشرى ، ومع معتقضى الإسلام خاصة بشاعر الضغن والأرياف ..

إن القوانين - من الناحية النظرية - تلقى هذه التفردة ، أما من الناحية العملية فالخيف ينزل بانضعاف من المسلمين والزواج دون حرج ، وقد أصدرت هيئة الأمم المتحدة ٢٥٠ (مائتين وخمسين) قراراً لمصلحة أهل فلسطين ، لم ينفذ منها قرار واحداً .

ولم يعرف المسلمون بته حروب الإبادة الجماعية ، ولم يعرف العالم واقعاً أرحم من العسب ، بن أن الأكراد والأترك المسلمين كانوا أضع ألف مرة من الدول الأروبية الغابرة : خاصة على سواء ..

وطيبة المسلمين إلى حد الغفلة الغيبة هى التى تجعلهم ينسون ما حل بأياهم وأخواتهم فى أية نحلست ..

لقد غزا ده سينون مصر والشام فقتل فى الشام أربعة آلاف أسير بعد ما أسلمهم

على حياتهم ..

واستحو الفتل بسلطان مصر فى لوجين البحرى والقبلى والمعاصرة نفسها حتى امتز عدد نسلكان - ولايريد أن يذكر هذا أحد .

ويظهر أن اغتيال الأسرى على كثرتهم داه قديم ، فإن صلاح الدين الأيوبي أرسل إلى أوريشوره منك إنجلترا - وكان على رأس حملة صليبية قاتل المسلمين فى الشرق - أرسل إليه بنفدية كبيرة ليترك قيود هؤلاء الأسرى لعماداً حدثاً ؟ ..

يجرى فيه الاحتفال بعيد الإسراء ، حين أسرى النبي إلى بيت المقدس ، ثم ارتقى إلى السماء ..

والواقع أن المسلمين القاطنين بشواطئ الاستقامة والإنسانية ، فبمهما كان الفرج منذ ثمان وثمانين سنة يتعمقون في صدام ضحاياهم ، لم تعرض الآن دار من الدور للهيب ، ولم يعل بأحد من الأشخاص مكروه . إذ صار رجال الشرطة ، بناء على أوامر صلاح الدين ، يطوفون بالشوارع والأرباب يعمون قبل اعتصامه يقع على المسيحيين . في تلك الأثناء حرص كل مسيحي على أن يلبس المال اللازم لاقتمائه ، وأخذ بالهات كل ما في بيت المال من الأموال المدفوع ما وعد به من أموال الاقتداء لا يصحبه ، ولم يحفل بالطبوك وبيعة الكنيسة إلا بأنفسهم ، ودفع أموالهم لا حينئذ وأما الطبوك موقل يؤذي خيرة دنايبر ، مقدار القدية المطلوبة منه ، المسلمين حينئذ رأوا الطبوك موقل يؤذي خيرة دنايبر ، مقدار القدية المطلوبة منه ، وبغادر المدينة . وقد أجمعت فاقته لثقل ما يحمله من الذهب ، وقد تبعته العجرات التي تحمل من حوزته من العناني والأواني الصنوعة من سبعة آلاف من الفخار . ما تبقى من نسخة الملك هنري الثاني ، تقرر إطلاق سراح سبعة آلاف من الفخار . وقد كان يصح أن يخرج من الاسترقاق ألفوف عديدة من المسيحيين لو أن الاستجارة والموالية والحيصة كانوا أكثر سخاء . ولم يلبث أن تدفق من أبواب المدينة طابوران من المسيحيين ، تألف الأول من أولئك الذين اقتدوا أنفسهم ، أو تم اقتادواهم يقفل جهود باليان . أما العايزون الثاني فحسب أولئك الذين لم يستطعوا اقتداء أنفسهم ، وإنما خرجهم من الأسر . ومن المناظر التي تدعو للأسى والخير ، ما حدث من الغارات العديدة . أين أعجب صلاح الدين بطلب منه إطلاق سراح ألف أسير ، على سبيل المكافأة من خدماته له ، فوهمهم له صلاح الدين ، فأطلق العادل على الفور سراحهم . إذ أجمعوا الطبوك موقل لأن يلتمس هذه الوسيلة الرجعية لعمل الخير ، لم يسم إلا أن يطلب من صلاح الدين أن يعيه بعض الأوقاء ليعتقهم ، فبذل له صلاح الدين سبعة آلاف أسير ، كما جعل صلاح الدين لبلبيان خصماته أسير . ثم أتم صلاح الدين أنه سوف يطلق سراح كل شيخ ، وكل امرأة عجزت . وما أقبل نس ، خرج الثاني لتدبير أنفسهم ، وقد امتلأت عيونهم بالدموع ، فسأل صلاح الدين : أين يكون مسجون ، بعد أن ألقى أرواحهم أو الباقين مسجونهم أو رفعوا في الأسر ، أجاب بأنه بعد إطلاق سراح كل من في الأسر من أرواحهم .

إليك ما كتبه هينريخ زسيمانه في الجزء الثالث من تاريخ الحروب الصليبية بعد ما شرح مفاوضات ريتشارد وكتبته مغاضبه قال : أنصرت ريتشارد حريصا على أن يغادر عكا وأن يرحل على بيت المقدس ، ورسال الأسرى المسلمين مسجونين حركه ثم أتيح صدوره للخلاص منهم بعد ما دبر اعتذارا رآه مقبولا ، قال : إن صلاح الدين يقضي عهده معه ، ومن أجل ذلك فقد أمر بالإنهاء على ٣٧٠٠ ألفين وسبعمئة أسير من الذين يقرا على قيد الحياة من حامية عكا . . . قال المؤلف : . . . وانشد حماسي عساكر للقيام بهذه الغزوة ، وحمدوا الله في جزل وسرور . . . حينما يرى الدافعون من ريتشارد . فقد حيا لهم قسمة الانتقام لوفاتهم الذين سقطوا أمام المدينة أثناء الهجوم عليها ، ولقي زوجات الأسرى وأطفالهم مصارعهم إلى جوار رجالهم . . .

لم يبق للمسلمون إلا على بعض رجال يستقبلون منهم في أعمال السخرة ، وبعض الأعيان ، أما الباقون فقد فبرا حجبنا ، وشهد المسلمون بالباطون في أقرب المناطق إلى عكا ما قد حدث فاندفعوا لإغناء إخوانهم وأهلهم ، وعلى الرغم من أنهم ظلوا يناقشون حتى حول الظلام فقد عجزوا عن الوصول إليهم . . .

ولا انتهت المذبحة غائر الإنجليزية البعثة بما تناثر عليها من الجثث المشوهة ، وأضحى يوسع للمسلمين أن يقدموا للتعرف على أصدقائهم الذين استشهدوا . . .

لنضع هذا المشهد الكبير ، ولنترك دلالاته البينة ، ولننتقل مع المستعجل زسيمانه إلى مشهد آخر ذكره في الجزء الثاني من كتابه بعد ما انتصر صلاح الدين في حطين . . . قال : فاقبل صلاح الدين أن يقع شروط الصلح ، فعرض بأن يوسع كل مسيحي أن يقتنى نفسه ، على أسس عشرة دنايبر للرجل ، وخمسة دنايبر للمرأة ، ودينار للطفل ، وعتقت أشر باليان إلى أن بالمدينة حوالي عشرين ألفا من الفخار ، ليس يوسعهم أن يؤدوا هذا المبلغ ، أولا يخرج السفنات المسيحية أن تدفع مبلغا إجماليا ، لا اقتادهم ورضى صلاح الدين بأن يقل مائة ألف دينار عن جميع العجيزين ألفا ، غير أن دنانير ذلك لم تكن من استطاعة تحصل هذا المبلغ الضخم ، ففقر بإطلاق سراح سبعة آلاف عجزت بلغ ثلثين ألف دينار وبنه على أوامر باليان ، ألقى المسكر السلاح . وفي يوم الجمعة ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ م ، دخل صلاح الدين بيت المقدس ، ورافق هذا التاريخ السابع والخمسون من رجب ، الذي

٩٩. كيف تتصور مستقبل الإسلام في عالم الغد؟

حائز السليم يقيض المصدر ، وقد يعمث على التشاؤم ولكنى واتق من أن هذه الحقبة تستجلى كما أظنحت من أخرى في أيام مضت ..

على أن الغد ، لمن لا يشب القشاع المسحب ، نزيه ومن مكتوف الأيدي .. كلا ، لا بد من عمل جاد وسعي لأب .. أو كما قلت في موضع آخر : لا بد أن يمتنق المسلمون الإسلام يقينا ونقلا ونشأنا وكما ..

أما من نقاض الرجوة فيستحيل أن يكسب المسلمون غيرا ..

إن أعيد نفسيمة وعقلية أصابت كبائهم بشل لا تفره أم أخرى ، وألغيت برساتهم مهانة كبيرة .. أقول ذلك وأنا أقرا كلمات للمهندس ماهر أياظة وزير الكهرباء جاء فيها : إن قفلح الطاقة ظل يبحث منذ خمس عشرة سنة عن سر صناعة ستة مميعة في المازلات الكهربائية دون جدوى فقد رفضت الشركات الأجنبية - نحو سبع شركات - أن تعمل أسرار هذه التكنولوجيا حتى تبقى المصدر الوحيد له وحتى تبعها وفق شروطها ..

قال خير : ثم طلع العلماء العتيبون بأخبارنا أن المواد التي تصنع منها هذه المازلات موجودة في تربتنا ، وأنهم سيرون خيراهم ليرشدونا إليها في بلادنا .. علماء لعين درسوا طبيعة أرضنا في البحر المتوسط اننى لم ألعش الخمر .. لأنى لا تحبب إلى ذواكشرومة عاصمة موريتانيا حرفت أن المياه التي تغذى العاصمة تأتي من أبار جوفية اكتشفها العتيبون ، وقاموا بهد أنابيحها إيتا ، لقد عرفوا وهم على المحيط الهادئ خيرت أرضنا على المحيط الأطلسي ..

قلت نفسي : اننى أروض الدعوة الإسلامية كلالا ، ودواء العتيبون يعرفون الدعوة لنشوية عملا .. وخاضرفى حزن عميق ..

ومضيت أتابع ما قرأته في موضوع المازلات الكهربية ففرجت بأمر آخر ، لقد تكلم عالم مصري هو الدكتور عصام حسن يقول : إن مادة الكوبالتي التي تنتج الموزال عتوية موجودة في سيناء ، وإن إمكانات استعمالها قدمت

وبذل الأراذل وليلامس من خزانته المعاني كل يحسب حلقته . ولواقع أن رجعتة وعقله كان على تنقيض أفعال الغزاة في الحملة الصليبية الأولى ..

إن الأمة الإسلامية - برغم تعسلة الظروف التي آلت بها - أurst قواعد خير كثير في هذه الحقبة ، وما يبقى لها بعد معادلات الخلف والإصالة يرتبها ولا يشبها ..

وأعرف أن خضوعها أصق وجوها وأقصد على فعل الماكر ونفها فلا تعرف ، وأجرا على تللى العيوب للبر .. والأصرار عليها حتى تنت ..

وفي عصرنا هذا أمر رجل دين أحقق في غيانا بالأمريكا الوسطى ألف شاب بالانتماء الجماعي ، فماتوا كلهم في صمت ، ولو فعل شيخ مسلم واحد في المائة من هذه الماشاة للمقت الأمة الإسلامية بعار لا تقدر على الإفلات منه ، ولنسب للإسلام كل شر ! ..

وما تنكر أن هناك مصفين صارحوا بقفل الأمة الإسلامية على العالم وأخر مائرا الهولاء ككتاب وشمس العرب تسفح على العرب ، لاستعانة لآنية ظاهرة اللمة ..

صحيح أن المسلمين اليوم في أوضاع بالغة السوء ، وصحيح أن فساد الحكم حقا طويلا من وراء هذا الاحطل ، بيد أن الأمة الجريحة لازال أنبل من قائلها ، ولا تزال نوريتها الرجوة أجدر بالتقدير ، وأحق بالانقي ..

إن الذكاء الأثافي في أوربا وأمريكا سيجر البول على أصحابها وقد يبروه على العالم كله ، ما لم يرحنا الله ..

ومن هنا استبعد رأى ابن تيمية في رفض الحلال للبيض، ورفض الأثار الخيرية عليه ..

واستبعد رأى أبى حنيفة في أن المسلم يقتل في النفس أو أن المرأة تجالس عدما، وكان المبدأ عند المسلمين مجرد النظر في قواعد الاستدلال أما استعمال الأبعاد الاجتماعية لهذه الأحكام الشرعية العملية فلم يرد على البال .. ونحن لا نؤمن من قيمة الاستدلال في القضايا الاجتماعية، وإنما ندعو إلى احترام التقاليد المستقرة في بيئات كثيرة مادم لا يتصلها نفس، كما نؤمن بالتمسك بأجهااد ما إذا كان يوق سير الدعوة الإسلامية، فلا وزن لأجهااد فرضي يتعرض انشذر الأصور والأركان ..

وأما رأينا أن الأوثين يقبلون الإسلام لو سمحنا للمرأة بالقضاء في المساء والأعراس .. وولاية المأصب العامة فليدخلا في الإسلام وليعلموا بذهب ابن حزم الجس تلك خيرا لنا ولهم ؟

وقد أسمى الجهااد فرض عين على كل مسلم ومسلمة بعد ما اقتضت دأر الإسلام من أظهارها، ومن أجدبات الجهااد العلم بكل ما أودع الله من قوى في أرجاء البر والبحر والبر، إن هذا العلم الضروري يتفق علوما كثيرة ظهرت أيام الترف والغفوق، بل لقد أمتت علوم اللغة العربية من فروض الذين على اللغفين، بعد ما تدرجحت هذه اللغة، وأسقطت مكانتها عن عمد ..

ومن الغفوق أو الجبن شغل المسلمين بؤاقل علمية أو عملية قبل استكمال الفروض الهمة ..

بناء الأمة الإسلامية من جديد يفرض على الساسة والدعاة والعلماء أن يعيدوا النظر، ويعيدوا التفكير، وأن يحاربوا يجهل متساو البروز الثقافي الوائد من الخارج والأخفاف الذكيرة النائرة من الداخل ..

ولأخلاق قصة لا يجوز إغفالها .. هناك أخلاق تنشأ من حسن معرفة الله، أو من صدق عقيدة التوحيد، أبحت عنها في سلوك خاصة وعامة فلا أجهل ..

هل أستطيع وصف رجل يخاف الناس ولا يخاف الله، ويسترضي الناس ولا يسترضي الله، ويتركى على الناس ولا يتوكل على الله، هل أستطيع وصف هذا الخلق بأنه مسلم ؟

إلى الإدارة المصرية من ستين طوبك، وهي إلى الآن جيسة أوداج بعض الرؤساء قال: «إنك الملهة المعينين لم يعرفوا نيا هذه الالة إلا من كتابات ويحيوت العلماء المسلمين التي تنوروا في الحاجج أ

لقد صدقت هذا التطبيق، وأدركت أن الحق ليست جهلنا، وإنما هي تلبه بعض الرؤساء أو هي ما ألبرت إليه في إجابة سابقة، انفصال العلم عن الحكم في أغلب البلاد الإسلامية.

فالأمر كما قيل:

إن كنت لا تدري فقله مصيبة أو كنت تدري فادع مصيبة أعظم!

ونظرو أن هناك نوعين من السائل الجزئي يقطع دورة الإحسان في الكيان الإسلامي العام، ويقتد الامة عن آفاه ورسالتها الكبرى .. فذاك لو بقي لدينا شعور بأننا نعمل للعلم رسالة كبرى ..

إن الزمن الذي حل بالمسلمين مؤزجهم، وجعل أفعالهم عند مواطن أفعالهم، ولكن نطعن في استماع نفس أينا يجب أن نقول ما يعقل أو نعمل ما قبل لنا في كتابنا ويكون نوبنا حسنا له ..

هل من التصور المحترم للإسلام أن يقول بعض العلماء: «الحاكم يعفى في طريقه دون اكتراث بالشورى، لأنها غير ملزمة له» هل تعلم الفروعنية بأفضل من هذا النحو ..

هل من التصور المحترم للإسلام أن يقال في حكومته: إنها حكومة الحزب ثراحد ..

إن أقبل الشخص الأمريكية صورت الطائفة الذكورة التي أسقطت قوتها من قاعدة عسكرية روسية، ولا يزال بعض سلطانها يحارب التصوير بضرورة، ويواجه وثيقاً ..

ويصفهم حكم بأن وصول الأمريكيين إلى القمر خير أجداد، لا يفيد العلم، وأن الأبراماعة ..

ولنترك هذا الوزن إلى أمة تعفى عنكر الدينيا إن مناقشة السند أو التمهين النظرى للحكم الروى أساسى اشكم في القضايا المعروضة، أما ملاحقة الآثار الاجتماعية عند ترجيح أجهاد على أجهاد فلا يلتفت إليها ..

ومع تمام هذا التكوين نعرض أنفسنا على ساكني القارات المعبودة ، واعتقادي أن النجاش سكون حليفاً ، فإن لصاحب الحق مقالاً ، وللمحققة سناؤهما وإزارتهما ، وقد سلم الناس ما صاحب الفخسارة الجديدة من جفاف ولابحية ، ومن شيرو وروحانية ، ومن بعد عن الله وكفر بإفائه ..

وفي حقائق الإسلام ، وشعب الإيمان الجامعة البليغة ما يفي ويستحق كل حقارة ..

وفي قلبي يقضي الكبر للذين أسلموا رأيت أن الجانب المظلم من الإسلام هو الذي اجنب الانتباه ، أو اللطيف الملقى للقرآن الكريم ، أي أن القوم يتحدون ما يتفهم ..

ومنا قلت النظر إلى أن بالإسلام أصولاً صلبة ، وورعاً مرية ، وفيه أقوال وآراء نسبتها إلى الناس أقرب من نسبتها إلى رب الناس ، وللدعاة الراشدين يعرفون واجبههم بإزاء هذا كله ..

وأخشي أن يذهب داعية لطيف في قانون المسيحية ويزعم أن التور لا تحرق بحرماً ، وأن السكينة لا تنقطع بعدما ، كما هو مقرر في كتب الكلام عندنا ..

أو يذهب آخر ليقول : لا تعيدوا الحاكم بالشورى ، فليس يجب عليه ذلك ..

أو يذهب آخر فيقول : لا بد من ضرب المتقلب على وجهه السقاء وجسعين في البيوت أغلب العمر ، فلا تعلم ولا تعبد ولا تقى في الأسواق ..

إن أصول الإسلام ومبادئه والاعتقادات والأخلاق هي التي يدعي إليها ، والناس يختارون بعد ما يهيجهم من تفسيرات ووجهات نظر ..

وفي قلبي أن الممنوع المظلم الذي يقدمه المسلمون هو الأساس الأول للنجاش المذمومة .. ثم إن الدول الإسلامية الكثيرة يجب أن تتعارب وتوهي الحدود بينها ، ولا بأس أن يبتاع تلك بأموال مشتركة أو بتكوين المحاذات الإقليمية كما تم ذلك الفاتح ، وكون وادي النيل ، وما يشق بين دول العرب الكبير .. على أن يكون الهدف الأهم لجميع المسلمين كافة في كيان واحد ، أو جسد روحه الإسلام ..

ومناك جملة أخلاق تقوم على سمو الاتفاق وتركيز السيرة وتنظيم بها الأعمال والأحوال ، فيه إليها النبي العظيم الذي قال : بعثت أنعم مكرم الأخلاق ، إنه أحصى أسرار الاتفاق في الكذب وخلف الوعد وخيانة الأمانة وركبت اليهود والفرس في الخصومة ما يقول المسلم ؟ إذا كانت محتملات أخرى أحرص منا على الصدق والأمانة والوفاء والسماحة ؟ ..

وقد رأيت شناعة القرى والمدن في أم شبي ، ورأيت النظام الصدام يشيع بين مشايخ زوكاهما ولقيت نظرة خاطئة على بلادنا ثم شعرت بهضة ..

لا أرى ملأاً حدث لنا إناثاً نعت ونيت دينا معنا !

ورأيت عملاً يكونون الإفتان ، وموظفين يكونون الخدمة العامة ، ورؤساء يشيرون مركبات للنفس أو فقد الرضاة وينظرون إلى الجماهير من أعلى .. وهم أكرم وعزيتهم ..

إن قضايا الأخلاق انطرد من قضايا أخرى لاسيما وأطلق عندنا يتركز على الإيمان بالله ، ولا يتركز على فلسفات بشرية أو مادية ، وذلك يعني أن هدم الإسلام - وهو دين أكثر من سمة أشعل العرب - لا ثورة له إلا ضياع الأخلاق يفتنا ..

وعندما يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ قُنُودًا كَالْقُرَى ﴾ (١)

فلا تنتظر عدالة ، ولا شهادة نقيية من شخص خرب القلب ، والواقع أن الذين ينتفضون الإسلام ويعيشون بضمائرهم يهرون الأخلاق نواز ، ويشيرون أجيالاً لا تصلح في حرب ولا سلام ..

وليس يقدمون بياناً لقوم إذا اخلاهم كانت خسرانهم ..

يجب أن تقوم للإسلام أمة تعمل به ، وتسطى صورة صادقة له .. ومن المغامرة تكليف المعلم أن يدرس الإسلام مخرباً من حيرة مستقيمة .. وتعمله مسئولية فلسفية عن كونه وثاقاً بعد تلك الدراسة الحبيبة ..

وأرى أن الصخرة الإسلامية المعاصرة مكافئة بتكوين هذه الأمة الجديدة ، وإنصاف رسالة الإسلام من هذا الميلاد ..

أكان ظن بقيا عليها ، أو توفيرا لهما؟ .. كلا .. لقد كان يعلم أن لها أجلا لا
نسب فيه ، وأنها عن قريب أو بعيد ستجول جنانا ..

ومن الذي يقوم بهذا التحول الحاسم ؟ الرجال الذين استأثروا من الداخل ،
وتربوا على التوحيد الحق ..

لقد عرفنا أن الذباب أقوى من هذه الأصنام ، وأنها لا تثبت في معركة معه ..
لهم بطور قوته تعالى :

هو يا أيها الناس ضرب مثل فاقسموا له أن الذين تدعون من دون الله لن يحقروا
ذبابا ولا رجعا لهم ، لأنهم الذباب مثله يسفحوه منه ضعف الطالب
والطالب محب (١) ..

لنستعرض بهذه الأصنام يوما لا ريب فيه ذنوب استعجال ، ولينعموا بملحهم
يتعهدون بغير الرجوع الذي مع الله ..

وتستبان أناس : ما هذا التعبد الشاسع المهم ؟ ويقول : هو تعبد الوحي ليكون
صحيح . والباطل يكون بطلا ، وأطلق ليكون عظيما ، والإحدا ليكون وثيقا ،
والهدف يكون واضحا .. فالألم لا تبقى بالصور وإنما تبقى بالحقائق ..

إن المتدين أحسن الناس للمراسم ، ولقوتهم هواء .. أما المؤمنون فإن نفع
تقوسهم : زيادة سرائهم ، ومدا سر عظمتهم ، وسر مال الأمور اليهم ..

ولا يعرف في تاريخ الهبة رجل مثل محمد ﷺ أحسن صورة القوس وأقنط
ملكاتها وتربيا بأضواء فيها من طاعة ، وجعلها تدفع ولا تدفع ، وتؤثر ولا تتأثر ..

فهل نحن المذاهب المتتمة اليه نقيم هذا النفع ، ولتزم منطقهم ؟ .. إن المؤمن
الباينين كما ذكرنا منا وأندلس في مواجهة الشاكر ، وجزية الصعل ..

نظرت بحسرة إلى طابق القرية ، في الإفاقة من لتقديم الهضام العالي ، ما هذا ؟
هنا شاش غرد سيرة فارقة ، تتوب الأرض فيها ، ينزل منها بأناته وكبرياء ، وتروق
الشاح بخفة استعلاء ، وبشرى بعض السلع ثم يحطى سيارته ويروح من حيث جاء ..

إنه منذ من الناحية الإنسانية شيئا عن الأيام التي كان سلفه يعيش فيها حافيا
أو متملا .. وما تشرف به أمته ولا أسرته .

١٠٠ إلى أي مدى يمكن أن تقتبس من هذه الحضارة المعاصرة ؟

كان رجال التدين والثرية في اليابان أيضا عندما انصلت بلادهم بأوروبا في
القرن الماضي ، أو قل : كان حراس العقيدة الرومية صاحين عندما قوت اليابان
الاستغاثة من الغرب العصامي الغربي ، فقد أعدوا لكل جديد يقتبس مكان فوق
أرضهم ، وساحتها المادية والأدبية التي لا يحدوها ، وعينوا يصغر حاد على الآثار
الترفة حتى لا تفلت من أيديهم ، أو تحرك بعيدا عن خطتهم المرسومة ..

ومع التزام هذا المثل السام بقيت التسعة اليابانية محفوظة السمات ثابتة
اللازم ، فانتقلت الحضارات الغربية إلى اليابان ، ولم يتحول اليابانيون إلى أوروبيين
في عاداتهم أو لغتهم أو أديانهم وأخلاقهم ..

لهم قبلوا ولم ينفذوا وفادوا ولم يتغادوا ..

وكانت هناك أديان بينها نفحات ، لبرقية من ناحية ، ولشنتوية من ناحية أخرى ..
والإتباع القاصون يتقسمهم وجهات نظر شتى ، وملاب تقيية كثيرة - إن صح التعبير
- بيد أن لربما من المباشرة السليمة فرض نفسه على الجميع فوذا اليابانيون كلهم دون
حسابات دينية يتداولون على انباض بلهم ورفع لوائه ، ودم لهم ما أرادوا ..

إن للتحالف الحقيقي لسمات لا يتغير .. هو النفس الإنسانية ، فوذا استقر هذا المهاد لم
يق شي - نو ذاك ، وقد كان محمد ﷺ أعرف إنسان بهذه الحقيقة ، فلهجت جهوته كلها
قبل أن يشرى إلى داخل الإنسان تصرفه ونضبطه وتعلم إلى قرارة وسلاسه ، وتوم يعرف
أن هذا الإنسان سوف يغرض نفسه على بيته يوما عندما تتراحم المواقف من أمته ..

ولم يحاول قط الاصطدام بالأمور الخارجية قبل استكمال هذا الداخل المهم ..
ومن ثم ترك الأصنام متصورة حول الكعبة مشربون سنة ، لم يعثم وأحلامها في
معركة طائشة ، بل الثابت في سيرة أنه طائف في عمرة في السنة السابقة حول
الكعبة والأصنام جامحة حولها ، وفي الأوضاع التي كانت عليها من بدء الدعوة ..

وعندما سقطت القيادات القديمة من الفرس ولزم لم يتبعها أحد لم يختلف من سقوطها ففرغ يحاول الآخرون ملأوا بل الذي حدث أن الشعوب تنسبت للمعداة ، وراثت أن ما وجد في زرعها الأولى بالتقليد والأحرام ، أو الأولى بالعبادة والعبادة .

لكن عرب الجرم على غير آخر ، ودعك من اختلاف المصاعف والمصاعف ، ولنتطرق إلى قضايا اجتماعية وأخلاقية هي من صميم حياتنا الداخلية ..

ما يتطرق للزواج عندما هناك أعراف متبعة أن قبيلة دون قبيلة .. وأن أسرة أعزق من أسرة .. وأن مكانة امرأة ما تتبع من نسبته .. وقد ساند هذا السلوك الجائر فتفكر فتفكر يؤكد أن الزنا من بين أشياء لا يوقى إلى مستحبات الرجل من عرق آخر ..

أليس هذه هي الغيرة العنصرية التي جاء الإسلام غوها؟ هل نستطيع تصدير هذا التفكير إلى العالم؟ وهل يكون صافدين مع الله عندما نؤمن أن ذلك فيه؟ وهل يقبله أهل الأرض هنا؟ ..

وفي أعتد كبرية رأيت الشاب يتن من غلاء المهور ، وأحسنت أن المورق حاله دون الحلال ، وأن الثغريات كثيرة نحو الحرام ، فهل هذا المعجز في علاج أهم الثغرات البشرية بعد هصر الإسلام ، وهل رسالة أئمة الاجتماعية تصيب الطليات وتسير الحقائق ، وهل يهش العلم لتقليدنا تلك؟ ..

ولا أفسى في سرود أئمة لتعثر قضايانا الاجتماعية ، وإنما أمد البصر لقضايانا الخلقية التي لن نستورد ليجها خبراء أجناب ..

شكالي شاب ناشى موهوب ، وعودة لطريق أمائه ، قفلت له بالناس : أمضى جوانبك إلى الأمام دون انتظار عون من أحد .. بل توقع الكيد والهدم لأن البيعات التي نعش فيها لا ترحب بالموهوبين ، ولا تؤثري كل شيء فقل ضلته .. لا كارهه ، أو مغلوبه ..

أغلب الناس يعيش داخل قوقعة من نفسه وداره ، ولما بانفتحت إلى الآخرين ليسعى مونا ، أو يقدم يدا ..

والطريقة التي يديرهم بها الدين لا تعين على زكاة النفس وسماتها ، فالأحزب عندما يتردى ثوبا عالياً جيلًا قد يستر علة حيا ، بيد أن ذلك لا يغني سقائه .

مكالمات نرى الذين يؤيدون مواسم المياعات ، ولا يهذبون أنفسهم ..
الغارق بين الإنسان والحيوان أن الحيوان يتحرك بدوافع حاجاته الخاصة ولا يحس إلا قنطرا أما الإنسان فالغرض أنه يحيا في مجتمع له قنطراطة وأدائه ،

وبما عامل قائم من ردى النيل مافا حمل إلى وطنه؟ وفيدونا أن الممكن جمد عرق حبيبه ولزفاف أفساه في هذا الجهاز للناس ، وسيمحله متعصب القامة والقامة لأنه أصبح به لفتح مستوى ، وما أدى الممكن أنه يحصل نقص وما زاد ..

لحرب في الحضارة الحديثة شعوب مستهلكة تتنافس الدول الصناعية على إياها بالدول البراقة والمزدهرة الربعة .

والدعاة لا يبدون كيف يستفيدون أنفسهم الغزوة من هذه الأوضاع القاتلة ، لأنهم لا يتجهلون إلى داخل الإنسان المسلم ، ويعركون ما يوقى من أهوجته ويثرون ما أنالهم من مصائبه .. إنهم يعركون نحو الظالم القريب أو تحه يقلل ..

إن قنطرة أمه ما على العداوة في الأرض ، أو تروث أمه ما قيادة العالم كما يعتبر القرآن الكريم ، لا يحس بين عشية وضحاها ، ولا يتم بخصائص سهلة ، إلا أن كل صلاحيات معينة أربا إليها الروح في قوله سبحانه :

﴿ وَتَقَدْ كُنْتُمْ فِي الْوَيْبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ أَرَأَيْتُمْ بَرِيًّا جَادِي الصَّاحِقُونَ ﴾ (١)

لا تظن للناس برية بين مايقسه القرآن الكريم من كل شيء إسرائيل فدحا ، ودين ككثيرهم في الأرض بعد ذلك . عندما يوجد فوجون قوم موسى ، وجاء على لسانه .. ﴿ سَتَقِيلُ إِنَّا نَكُونُ رَسَاتِيحِي نَسَاجِي نَسَاجِي رَأَا فَوَقِمْ قَافِرُونَ ﴾ (٢) . قال موسى لقومه : ﴿ وَاسْتَجِيبَا بِاللَّهِ وَاسْجِرَا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ غَدَاهُ وَأَنَا فُتَنِي لِلنَّاسِ ﴾ (٣)

ومرت السنوات ، وتغيرت الأوضاع في واورثا القوم الذين كانوا يستعصمون مشار الأرض وغارها التي باركت فيها ﴿ إِنَّ ذَلِكَ كَلِمَةٌ لِمَنْ يَشَاءُ فِي آيَاتِنَا ﴾ . إنه استغرق عشرات السنين ، حتى أمكن رفق سن لك الاجتماعية أن يورق المبدأ أخلاق السليمة الحقيقية ..

والواقع أن العرب أيام البعثة تهودتهم بالمعقل والتخريب بد صناع ، ووضعت بهم في طريق المجد نيرة لهمة ، نيرة حوت لاء والذين إلى أروار ورواحين ..

نعم إن الإسلام حول العرب إلى روائين بعد ما كانوا شياطين ، وجعلهم قانع تحذى في ميادين المبادات والمعاملات ، وكانت قناعاتهم خيرا وبركة . وكانت فوجهم المكربة والورجة أدنى وأجدي من فوجهم المسكرة بخارقة ..

وعلى المرء أن يحس بنفسه وبغيره معاً ، والصورة الدنيا للسلوك البشري تظهر في أعمال الجرمين الذين لا يهتمون إلا بما يشتهون ، أما صور الرقى للشود فتفتح كلما اختفت الأنانية ، وبما الإحساس بالغير ، والتقدير لغرفته ..

وقد أقام الإسلام شعاراً في سبيل الله ليخضع الإنسان من أثره ، ويدفعه إلى ربه ، فالإنفاق ينبغي أن يكون في سبيل الله ، والجهاد ينبغي أن يكون في سبيل الله ، والسعي في هذه الدنيا ينبغي أن يكون في سبيل الله ، بل انخيا والمات جميعاً في سبيل الله ..

وهذا الشعار يعنى في النشاط العام أمرين : ابتداء وجه الله ، وتحقيق المصلحة العامة ، وفيها ثلثا يرون أن حق الجساعة داخل في كل ما هو لله ، إذ الإسلام يخرج بين الدين والدولة ، والعبادات والمعاملات ..

والذى حدث في هذا العصر أن القليص الأخلاقية في الغرب غالت في حق المجتمع ، فظهرت به النزوح الشخصية ، وجعلت «الوطن» يرعى وطنه ، ومصاحبة قومه ورفقة أمته .. إلى آخره ، ووضيقت بذلك أنانية الخاصة ..

أما التمسك إلى الدين فإن شعاراً في سبيل الله «نسى» ، أو تنسى ، في مجال التربية .. وترك سلطان الأنانية يتعد ويتوغل ، فمما كانت النتيجة ؟ .. فرقة مستغربة بين مجاهدى أفغانستان ، وبين محروى فلسطين وسيطرت المارك على أغلب الأنشطة العامة .. فإننا الشخص الذى يعمل لوطه في أوروبا أيقظ ضميراً من مثله الذى يتسنى إلى الدين ولا يفكر في سبيل الله ، وإنما يفكر في تنمية ثروته أو دعم مكانته ..

إن المبدأ الإسلامى الأول في التربية هو : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهُ ﴾ (١) لا يتحقق بالدعوى ولا بالصياح ، وإنما يتحقق بتطبيق عميق حاسم في شؤون الحياة ، وبين جميع الطوائف ..

إن «ديجله» ولمى نعمة فرنسا الحديثة دون دونها : الأذغال في قرينته ، وإمراته الفاضلة تعيش بين جدران ملجأ يرعى شيخوختها .. على حين ترى من خائبا أمتهم أو غشوها يذوقون وسط أحمال مالتجة ، وتوضع في أقدام أسهمهم صلاحي الذهب ! فهل هذه مثاليات الإسلام كما نراها ؟ وهل تنتصر الدعوة الإسلامية بهذا الثغور الصالح ؟ ..

(١) القيس : ٩٠ .

إن العلية أو التقوى أو القدرة على صبر الحبيب من الطبيب وإظهار الحسن على الفتيح ، كانت المشاعر التى برز بها سلفنا الأولون بل أربابنا الأقربون .. ولقد عرفت فلاسى قربتنا وأنا صغير بنامون مبكرين بعد صلاة العشاء ، ويستيقظون مع الفجر ، فيأخرون صوب حقولهم ، وقد تذهب إليهم زوجاتهم أو أولادهم بالعشاء ، فما يعودون من مزارعهم إلا مع الغروب .. وكانت آراضهم تذر السمن والعسل ، وتزكات الله تتهير عليهم بالغدو والأصالح ..

والآن بعد السهر والسمر على شتى البرامج والذمم حتى الضحى ، وإزاحة الصلاة ، وإتباع الفللات ماذا نجنى ؟ ..

والسؤال نفسه مع أهل الخليج ، لقد سمعت معمرين منهم يتحدثون عن المائضى بأسى وأعزاز معاذ يقولون : كنا فقراء ، ولكن الرحولة والاستغفار وتوقى الله كانت تسود الأفاق .. إن العدد مع الشهوات الوافدة لورقة من الشعر ..

أريد من أمتنا أن تقتبس من حضارة الغرب ما يوافق أو يتواءم مع فترة الله فى موارثنا ..

ثم ماذا على الدعاة والبرين لو درسوا الأساليب التى اتبعها اليابانيون فى الاستفادة من هذه الحضارة ؟ ..

ثم إن هناك خلافاً فى التركيب الإنسانى لأمتنا طرأ عليها مع توافد الملل السياسية والاجتماعية ، جعل المنطق العلمى يتقهقر ، وتخل محله الأوهام ، وجعل الاكتمال النفسى يضعف وتسد فرائقه بعض الشعائر وصور الطاعات ..

وعلمائنا لكبار لم يخدمهم هذه النقائص ، ولمالك رفض ابن القيم من الفنى البخيل أن يكسر الذكر ويطلق الصيام ، فعبثته الأولى العلماء ، كما رفض من الداعية الجيئة أن يشرى بالأزواد ، ويعتكف بعيداً عن الناس فعبادته الأولى الأمر والنهى والنصح ..

وفى عصبة هذا لا يخفى ما تحتاج إليه أمتنا كى تنهض من عزتها ، وما أيسر التوفيق بين انقلام اختصارى ومورث الدين وخلق ، والوفاء بحقوق الله ..

٢٠. هل الجهاد مقصور على الدفاع أم يتجاوز ذلك لإكراه الناس بالقرية .

٨٦. على الدخول في الإسلام ؟

٢١. هل فريضة الجهاد لا تزال قائمة ؟ وما واجب المسلمين اليوم تجاهها ؟

٩٤. ما معنى أن الله جعل المسلمين أمة وسطا ؟

٩٨. كيف يتنى الإسلام الأمة المسلمة ؟

١٠٢. كيف يتبنى الإسلام المسلم القوي في مواجهة متغيرات العصر ؟

١٠٧. لماذا كان الحل الإسلامي لشاكا هو الأفضل والأقل والأجوع ؟

١١٢. ماذا صنع الإسلام لحفظ العقل والنفس والمال ؟

١١٧. ما دور الإسلام في ترشيد الضمير الإنساني ؟

١٢١. ما موقف الإسلام من العصرية السائدة في بعض الحضارات ؟

٢٩. ما موقف الإسلام من مظاهر الحضارة الحديثة ، السجنا والسبح والوسيقى والغيتون جميعها ، كالرسم والنحت والتصوير ؟

١٢٥. كيف أسس الإسلام حقوق الإنسان ؟

١٣٠. هل مستولية المسلم تجاه المجتمع الإسلامي وحده أم تجاه المجتمع البشري كله . وكيف ؟

١٣٤. ما تأثير القرآن في الفكر الإنساني ؟

١٣٩. كيف ، وبماذا ، وقع الشيخ في القرآن ؟

١٤٤. هل الاستدلال القرآني في قضية الأروية على الوجود أم على التوحيد ؟

١٤٩. ما أهمية القصص في القرآن ، وهل لها أصل تاريخي ، وما الحكمة في تكررها ؟

١٥٤. ما تفسير الآيات التي قد تحصف الله سبحانه وتعالى وصفا ماديا ؟

١٥٩. مثل لوحه ريك ، ولما لك صفا صفا ؟

٢٧. كيف تفسر ما ذكره القرآن من أن السموات سبع والأرض سبع حقائق لعدم التقي أن الأرض واحده السما فضاء ؟

١٦٣. حقائق لعدم التقي أن الأرض واحده السما فضاء ؟

التفصيل

٣. مقدمة

١. ما الإسلام ؟ ولماذا سمي كذلك ؟

٢. لماذا كان الإسلام خاتم الأديان ؟

٣. هل يستطيع الإنسان السوي الرشيد أن يعيش بلا إسلام ؟

٤. كيف بني الإسلام على خمس ؟ وما هي ؟ ولماذا خمس بالذات ؟

٢٠. ما مكان التصوف في الإسلام ؟

٢٤. ما موقف أهل الكتاب في الإسلام ؟

٣٠. هل الإيمان لا يتبدل ، والأركان والكتب السابقة ضرورية في الإسلام ؟ وما حكمة ذلك ؟

٨. ما مفهوم الإسلام عن الحياة والموت ؟

٩. ما فكرة الإسلام عن البعث والجزاء ؟

٤٢. ما البرزخ ؟ وما دلالاته في الإسلام ؟

٤٧. ما طبيعة الجزاء الأخرى ؟ هل هو روحي أم مادي ؟

١٢. ماذا عن القضاء والقدر ؟ وكيف نوفق بين الآيات التي تدل على أن الإنسان مختار والأخرى التي تدل على أنه مجبر ؟

١٣. ما دور المسجد في الإسلام ؟

١٤. لماذا كانت الصلوات خمسا في اليوم ؟ وما هو شكل الصلوة القبلية ؟

١٥. ماذا يبرز إليه الفروض ؟ ولماذا لا تصبح الصلوة إلا به ؟

١٦. ما حكمة الحج ؟ ولماذا كان الطريق حول الكعبة وهي بناء من حجر ؟

١٧. ما هي دار الحرب ؟ وما هي دار الإسلام ؟

١٨. ما حقيقة الحرب السلم في الإسلام ؟

١٩. لماذا حمل الرسول السيف ؟ ولم يكف بالرفع ؟

- ٢٥٨- ما القرائب في الإسلام وما نظامها ؟
 ٢٥٩- كيف يحقق الإسلام التوازن الاقتصادي في المجتمع ؟
 ٢٦٠- ما موقف الإسلام من نظام الضرائب الحالي ، وما الجليل الذي يقدمه ؟- ٢٦٤
 ٢٦١- ما هي حدود اكتساب الخلال في التجارة ؟ وكيف يفتح السراح حثا لارباح التجارة ؟
 ٢٦٢- ما دام الدين واحدا فاماذا تتعدد حركات التجديد وكثير نتائج المصلحية ؟
 ٢٦٣- ماذا عن أحاديث آخر الزمان ، وهل لها دلالات معينة ؟
 ٢٦٤- هل ينبغي في عصر تشييد الثورة وغزو الفضاء أن تقدم الولاء للإنسانية وناخر الولاء للدين ؟
 ٢٦٥- أصبح أن الفتح الإسلامية تعود إلى عوامل قوية أكثر مما تعود إلى عوامل اقتصادية أو دينية ؟
 ٢٦٦- يدرس الآن في بعض الجامعات أن القومية العربية هي العامل الأول في نجاح الفتح الإسلامي وريزية الفرس ولزوم فما مدى الصحة في هذا القول ؟ ٢٦٧
 ٢٦٧- ألا يمكن زعم الفجوة بين السلف والخلق حتى تستطيع الأمة رد العمارات المتنامية عليها ؟
 ٢٦٨- ما حقيقة الملائكة والجن ؟ وما علاقتها بالإنسان ؟
 ٢٦٩- ما معنى أن لله تسعة وتسعين اسما وما مغزاها ؟
 ٢٧٠- هل من شرع وخير لاسماء الله الحسنى ؟
 ٢٧١- طائفة من العباد يحتسمعون على ذكر اسم الله بأسمائه الحسنى كلها أو بعضها ، وقد يتأيدون أو يهتزون ، فما حكم هذه العبادة ؟
 ٢٧٢- لماذا أوصى الإسلام بصلوة الجماعة ووفى صلاة الجمعة ؟
 ٢٧٣- ماذا تقرر حوزة نوبخ سستوى الخطبة ودعم رسالة المسجد ؟
 ٢٧٤- ما المحكمة في قيام الليل ؟ وكيف يكون ؟

- ٣٦٨- هل تم جمع القرآن بطريقة تدحض كل شك ؟ وكيف تم جمعه ؟
 ٣٦٩- ما الفرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي ؟
 ٤٠- ما إذا لو تعارض الحديث مع القرآن الكريم ؟
 ٤١- هل الصورة التي رسمها القرآن خلق آدم حقيقة أم رمزية ؟
 ٤١- وما معنى الحديث وخلق الله آدم على صورته ؟
 ٤٢- هل يؤخذ القرآن بنصه ، أم على أسس الظنوف التي زلت فيها أياقه ؟- ١٨٦
 ٤٣- ما حاجة الإنسان إلى الإيمان بالدين الأخرى وما أثر إنكاره على السلوك الإسلامي ؟
 ٤٤- ما أثر الإيمان على الاخلاق والسلوك والصغير ، على ضوء ما يحدث في الدول المتقدمة التي تأخر بالفعل بتأليف العلوم فقط ؟
 ٤٥- لماذا كانت للمذاهب الفقهية الممول بها أربعة ، وما ضرورتها ؟
 ٤٦- ما مدى حرية الفكر في الإسلام وكيف يوفق بينها وبين قتل الورد ؟- ٢٠٣
 ٤٧- ما الاجتهاد ، وهل هناك ضرورة للفتح بابه ، ولماذا ؟
 ٤٨- ماذا عن تجديد الفكر الديني في الإسلام ؟
 ٤٩- ما مكانة الفقه الإسلامي في الإسلام كله ؟
 ٥٠- لماذا يجب أن يكون للفقه الإسلامي المصدر الأساسي للتشريع ؟
 ٥١- ما معنى الإجماع ، وما مكانته في الإسلام ؟
 ٥٢- ما نظام الحكم في الإسلام ، وهل الأمة مصدر السلطة فيه ؟
 ٥٣- ما العلم الأولي للدولة الإسلامية ؟
 ٥٤- ما مدى تقبل الإسلام لأسس الدولة الحديثة ؟
 ٥٥- كيف يقيم المسلمون دولة إسلامية واحدة ؟
 ٥٦- يوحى الناس من الحكم الدين ، وضرورة الخلافة ؟ فهل هناك ما يدفع هذا الوجه ؟
 ٥٧- متى تقام الحدود ، وهل هي صالحة لكل عصر ؟

٩٢- ما مكانة العمل والعلوم في الإسلام؟ وهل هذا قاصر إن على العمل المادي والعلوم الدينية؟

٩٤- لماذا لم يحرم الإسلام الرق كما حرم الغمر والربا؟ وما موقفه الحقيقي من هذه القضية، وهل يجوز للمسلمين في حوزتهم مع أعدائهم أن يعملوا أسرى الحرب رقيقاً؟

٩٥- ما موقف الإسلام من الحضارة المعاصرة؟ وهل يمكن القول بأن الإسلام حضارة خاصة يدعو إليها؟

٩٦- هل في استطاعة الإسلام أن يقدم حلولاً للمشكلات الكبرى التي تعاني منها الإنسانية اليوم؟

٩٧- م تفسر المشكلات التي أصابت الأمة الإسلامية بدءاً من الخلاف الداخلي بين علي ومعاوية حتى يومنا هذا؟

٩٨- هل نتج الإسلام في تحقيق أهدافه خلال تاريخه الطويل؟

٩٩- كيف تتصور مستقبل الإسلام في عالم الغد؟

١٠٠- إلى أي مدى يمكن أن تقتبس من هذه الحضارة المعاصرة؟

١٠٥- ولماذا اختير الأذان للصلاة، ولماذا لم يأخذ عن طريق الموسيقى مباشرة؟

١٠٦- ما حقيقة اليوم وما حكمته؟

١٠٧- في المجالات الاجتماعية وسياسية تولى الإسلاميين مقالات متباينة أو متناقضة؟ ولم هذا؟

١٠٨- ما موقف الإسلام من اختلاط الجنسين؟

١٠٩- ما موقف الإسلام من تعذيب النسل؟

١١٠- لماذا حرم الإسلام الغمر؟ وما عقوبتها؟

١١١- للتدخين عادة شائعة؟ فهل للمسلم رأي فيها؟

١١٢- ما حكمه للزكاة؟ وما نصاها؟

١١٣- ما العلاقة بين الإسرائيليين وإسرائيل؟

١١٤- لماذا كانت قلة العلماء في أرضنا؟

١١٥- هل من تكريم المرأة إباحة لتعدد وظائفها وجعلها نصف لرجل في البيت والشهادة؟

١١٦- ما موقف الإسلام من المرأة في ضوء الأوضاع السائدة في مجتمعنا؟

١١٧- ما أبعاد النشاط الاجتماعي للمرأة على ضوء الاجتهاد الفقهي؟

١١٨- ما نظرة الإسلام إلى الأسرة، وما عمل المرأة في بناتها؟

١١٩- يرى البعض أن اللعاب فريضة على المرأة فما قيمة هذا الرأي؟

١٢٠- يرى البعض أن هناك مشكلة في علم القريب تتكون من الأخطاء والأوب... إلخ تؤثر في علم الشهادة، فما قيمة هذا الرأي؟ وما مصادر المعرفة في هذه القضايا وأمثالها؟

١٢١- لم حرم الإسلام تجزئاً معينة، وهل لذلك حكمه؟

١٢٢- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٢٣- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٢٤- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٢٥- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٢٦- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٢٧- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٢٨- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٢٩- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟

١٣٠- هل توجد صحة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟